
تقديم: صُنع الله إبراهيم
جمهوركية آل
مبارك
محمد طعيمة

Hon. Mohamed Idris
President of C.A.C.U.
Chairman, African Farmers
P.O.B. 14 Gizah Egypt 12211
e-mail: idris@cacueg.org

تقديم

فيما بعد، عندما ينجلي غبار المعركة، ويفوز الشعب المصري بحقه في اختيار حكامه، ويتخلص من القوانين المقيدة للحريات، ومن القمع الذي كبل حيويته. عندما يفرض خطة للتنمية الحقيقية تأخذ مصالح الأغلبية في الحسبان، وحقوقها في العمل والصحة والتعليم والعدالة. عندما يتحرر من النفوذ الأجنبي والهيمنة الأمريكية، ويستعيد دوره الطليعي عربيا وعالميا، فيساند بحزم المقاومة العراقية للاحتلال الأجنبي، ويتصدي للعدو الإسرائيلي ولبرنامج تصفية الشعب الفلسطيني.

عندما يحدث كل ذلك سنكون في حاجة إلي سجل يذكرنا بالدور الذي لعبته مقالات محمد حسنين هيكل في تصحيح الوعي الجمعي، والدور الذي لعبه برنامج حمدي قنديل في إشعال الوعي القومي، وبموقف الصحفيين الشجعان من رموز السلطة في انتخابات نقابتهم، ودورهم في كشف المستور والتصدي للفساد الضارب في ظل سلطة شاخت وتعفنت وباعت مصالح البلاد وثرواتها من أجل الاستمرار بالتمديد أو التوريث، وبالدور الطليعي لحركة "كفاية" التي نقلت المعركة من الغرف المغلقة إلي الشارع رغم أنف الطغيان.

مـــن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي يوثق فيه مؤلفه - من خـــلال مقالاته المتتابعة في صحيفة العربي الناصري - لفضيحة التوريث، ويلقي الضوء علي كثير من تجلياتها وشخوصها.

يســجل الكــتاب أول ظهــور لجمـــال مــبارك في ١٩٩٨ والخطــوات التـــي صــحبت إعداده للدور القادم بدءا من جمعية المســتقبل والمجلــس الرئاسي المصري الأمريكي حتي السيطرة علي الحزب الوطني والحكومة وتفاصيل الصراع الذي نشب بين الحرسين القديم والجديد.

ويسجل للمؤلف أنه - في وقت كان الاقتراب فيه من العائلة الحاكمـــة مـــن المحظــورات - من أوائل من تعرضوا إلي دور زوجة الرئيس المتشعب في الحياة السياسية، وربما أول من تحدث عـــن اللـــواء عمـــر سليمان الذي ما زال يعتبر من الشخصيات الغامضـــة فـــي الحياة السياسية، وأول من أشار إلي حديث جمال مـــبارك الشهير في يناير ١٩٩٩، والي اعتراف الأب في ١٩٩٣ بمشاركة ابنه في شراء وبيع ديون مصر.

ومـــا زلـــت أتذكـــر مشاعر الإشفاق عليه بعد كل مقال من مقالاتـــه والصـــعوبات التي واجهها بسبب مواقفه. ولا أنكر أني خفـــت عليه بعد أن قرأت هذا الكتاب. لكن هناك في الحياة أدوار مقدرة مهما بلغت فداحة ثمنها.

صنع الله إبراهيم

جمهورية آل مبارك

مقالات مختارة

الكتاب : جمهوركية آل مبارك

المؤلف : محمد طعيمة

الغلاف : صالح عبد العظيم

أعمال الجرافيك والطباعة : محمد هريدى

الناشر : كيارسكورو

تطلب نسخ الكتاب من المكتبات

او تليفونات أرقام

٠١٠٢٥٩١٥١٤

٠١٠١٤٠٦٤٧٤

٢١٣٠٤٠٢

رقم الإيداع : ١٤٦٩٠ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى : I.S.B.N

977-351-259-2

محمد طعيمه

جمهوركية آل مبارك

إهـــــــداء٢٠٠٨

أسرة المرحوم الأستاذ/ محمد إدريس

جمهورية مصر العربية

توضيح شديد الأهمية

ضد المنظومة كلها.. ضد كل لاعبيها

نتمنى ألا يكون صدور هذا الكتاب، وتوقيت صدوره، يصبان في مصلحة أي منافس لمبارك.

فـــإذا كان مبارك قد أفتتح حكمه بتوجهات بدت مبشرة، فأن مـــن قـــبل أن يلعب معه في مهزلة الإنتخابات الرئاسية قد بدأ من حيـــث وصـــل حكم مبارك، تقنين طبخة "العيلة" منذ اول لحظة.. وشبهات فساد وتزوير، والأخطر إيمان بالتبعية للخارج، معتقداً أن أوراق اللعـــبة بـــيد واشنطن، وإرضاءً لها، ها هو يحسم "خندقه" بمعـــاداة فصـــيل وطنـــي قـــد نختلف معه، وضرب حاسم لأمننا الإســـتراتيجي بإلـــتزامه عـــدم الإنشـــغال بما يحدث في فلسطين والعراق.. وهو ما لم يجرؤ نظام مبارك على إعلانه.

هـــذا الكـــتاب ضـــد المنظومة القائمة كلها، ضد كل من قبل اللعـــب بشروطها، أملاً مننا في منظومة بديلة، تعتمد الجمهورية البرلمانية أساساً للعبة السياسية.

إهداء

إلـــى (نبوية السيد عبدالله)، إنكفت علينا لتربينا بصحتها.. ولم تســرق من أجلنا "رغم خنقة الحياة" حقوق الأخرين، هاهي تقترب مـــن الرحيل قبل أن نحقق حلمها الوحيد "بيت العز".. مجرد بيت تجمع فيه أولادها الستة تحت تكعيبة العنب.

إلى (عمر).. المستقبل الذي أتمناه.. شارباً من "عبل" جدته.

مقدمة

هذا كل.. "كل" ما أتركه لــ(عمر).. لعله عندما يعيه يغفر لي تقصيري الفادح معه. "شوية" موضوعات.. لعلها تعطي لأبيه قيمة ما لديه.

وقــتها كانــت تلمــيحات "التوريث" تظهر خجولة بالمجالس الخاصــة، وفى عمود أو اثنين من أعمدة الرأى، لتتشجع قليلاً بعد إشارة (الأستاذ هيكل) إليها بالجامعة الأمريكية.

قبلها لم يتعرض لها أحد بصراحة ووضوح.. البعض تحدث عن مخاوف تكرار سيناريو (بشار).. لكن أحدا لم يقترب بالقضية كما كانت تُطبخ.. كما بدأت تتضح للمتابعين.

وقــتها، وبعــد لقـــاء (جاك سترو/ وزير خارجية بريطانيا) بـــ(جمال)، دشن مصريون مقيمون بالخارج، تحديداً في تورونتو بكــندا، حملـــة جمع توقيعات ضد التوريث، مع رصد لتطورات صــعود(جمال). إلتقطناها من منتداهم الغير مشهور على الشبكة العنكبوتية إلى أوراق (العربي) بتأثيرها الأوسع إعلامياً.

وبدأ خروج سيناريو التوريث للنور في ثلاث حلقات متتابعة، أذكـــر وقــتها كلمات المبدع.. الغارق في هموم وطنه (صنع الله إبراهـــيم) بكـــل قيمـــته لديـــنا.."هذا عمل غير مسبوق في تاريخ الصحافة المصرية".. كوسام سأظل أفخر به.

لكـــل"موضوع" ظرفه الخاص في تاريخ نشره، بعضها تأخر نشره لحساسية النشر في توقيت معين.. فكان "النت" ملجأي، لكن يظل لكل منها "طزاجته الزمنية" وسبقه وقت نشره.

كلهـــا نُشـــرت في التجربة التي سيتوقف عندها تاريخ مصر أكثر فيما بعد.. (العربي)، قد تختلف "كلمة".. مجرد كلمة أو أكثر عمـــا هـــي هنا، لكن الكلمة "الحاضرة" هنا لا تضيف أكثر.. وأن كانـــت تحســـم دلالة أو معنى. وبالطبع إذا كان "العنوان" كما هو مستقر مهنياً ملك الجريدة، فأنه هنا يعود لحالته الأولى..كما كُتب مع موضوعه أول مرة.

كلها انشغلت بهم واحد.. "هم" أضاع من عمري ربع قرن في مـــوات دمر وطناً، هم توجعني معه.. دائماً مرافعة (أحمد زكي) في فيلم "ضد الحكومة" التي صاغها (بشير الديك).. عن"بلد نخره السوس، بنيانه يوشك أن يتداعى "، كان يحاكم قبل ١٤ عاماً "نظام كـــامل".. من "المجرمين الحقيقيين"، لم يكن أمامه وقتها – والآن- إلا أن يســـتغيث بالقضـــاء باكـــياً.."لـــدي مســـتقبل هنا أُريد أن أحميه".."أغيثونا.. أغيثونا".

كشف اللامستور

استفتاء على توريث الجمهورية

واقعة مثيرة في مواقع مصرية

على شبكة الإنترنت

فجأة، إبتداءً من الثلاثاء الماضي، وبدون سابق إنذار، تفجرت قضية توريث الرئاسة، في حملة لم نعثر لها على أوصاف مُحايدة.. هل هي مشبوهة بتزامنها مع دروس الديمقراطية الأمريكية؟. أم هي وطنية كما قالت المواقع الأربعة التي شاركت في تفجيرها، التي تتباين في إنتماءاتها السياسية. وبالتالي تهدف فقط إلى.. "رفض الحجر على الإرادة الشعبية"؟.

في توقيت واحد إمتلأت "الإيميلات" بمقال لـ (د. العقيد محمد الغنام)[٢].. المفصول من الشرطة واللاجئ إلى سويسرا، وبإستفتاء عن قضية التوريث.. وبرصد لبدايات ظهور إسم (جمال) في الإعلام المصري، عنوانيهما،

(_/www.egyptiantalks.org/phpbb2plus)

و (www.petitiononline.com/ouregypt/petition.htm)

وبيان لمجموعة أسمت نفسها (المصريون الأحرار) .. التي تتفرد بين المواقع الأربعة بالإشارة إلى قضية القدس ورفض (مبارك)

عـروض إسـرائيل بكامـب ديفيد"٢"، وبالتالي "عرقلته " للسلام بالمنطقة، وبالطبع ليس هذا إتهاماً من وجهة نظر الأغلبية الساحقة من المصريين.

علـى موقـع (محـاورات المصـريين)[٣] المربوط بجريدة (الوفد)، نقرأ رصداً- محايداً ظاهرياً - لبدايات بروز إسم (جمال) بالصـحف المصـرية..وتحديـداً بـ(الأهرام).. يقول صاحبه بالحرف: "إخواني وحبايبي وحتة من قلبي.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بالبحث في جريدة (الأهرام).. تبين التالي:

١- أول خبر ورد فيه إسم (جمال مبارك)، كان في ٤ أكتوبر ١٩٩٨، بـاب الإقتصـاد، بعنوان "تخوض معركة التنمية بروح أكـتوبر".. "أكد د.يوسف بطرس غالي في إفتتاح أعمال المحور الإقتصـادي بالـندوة الإسـتيراتيجية حول حرب أكتوبر، والتي إفتـتحها الرئـيس مبارك أمس، ونظمتها وزارة الدفاع و الإنتاج الحربي. ويتحدث (جمال مبارك) في الحلقة النقاشية حول التعاون الإقتصـادي العربـي في إطار التعاون الإقتصادي الإقليمي.. و كيف نمنع نشوب حرب جديدة".

** هـنا يشير الأهرام إلى ("السيد" جمال مبارك) بدون أية صفات.

٢- الأربعـاء ٢٥ نوفمبر ١٩٩٨، الصفحة الاولى، بعنوان "مـبارك يستقبل الرئيس الأمريكي".. "وصرح السيد محمد لطفي منصـور - سـكرتير عـام جمعية المستقبل-التي يرأسها (السيد جمال مبارك)، بأن..".

** هـنا يُنبئنا الأهرام بمنصب ("السيد" جمال)، وهو"رئيس جمعية المستقبل".

٣- السبت ٢٨ نوفمبر ١٩٩٨، بعنوان"جمعية المستقبل تستضيف الرئيس الأمريكي السابق بوش في حفل عشاء خيري".. "أقامت جمعية المستقبل حفل عشاء خيري حضره الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش، الذي ألقى كلمة أشاد فيها بسياسة الرئيس مبارك، وبدوره في تحقيق السلام بالشرق الأوسط، وبخطوات الإصلاح الإقتصادي في مصر. وأعلن جمال مبارك رئيس الجمعية، إنها ستقوم ببناء ١٥ ألف وحدة سكنية لمحدودي الدخل خلال السنوات الثلاث المقبلة".

** تميز الخبر بنقلة جديدة، إذ تم نشر صورة لـ("السيد" جمال مبارك)، والتعريف بجمعية المستقبل وتقديمها بصورة تلقى إستحسان الناس.

٤- في نفس اليوم، السبت ٢٨ نوفمبر ١٩٩٨،الصفحة الأولى، بعنوان"جمال مبارك: جمعية المستقبل تبني ١٥ ألف وحدة سكنية لمحدودي الدخل".. "أكد جمال مبارك عضو المجلس الرئاسي المصري الأمريكي و رئيس جمعية المستقبل، أن الجمعية سوف تبني ١٥ ألف وحدة سكنية لمحدودي الدخل، خلال السنوات الثلاث المقبلة، وانها تقوم بدورها في توجيه دعم القطاع الخاص لبناء مساكن حضارية مناسبة لذوي الدخول المنخفضة من أبناء الشعب. جاء ذلك في كلمته بالحفل الخيري الذي أقامته

الجمعية وحضره الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش كضيف شرف، ود. كمال الجنزوري رئيس مجلس الوزراء، ورجال الأعمال ورؤساء البنوك والشركات".

** يُنبئنا الأهرام بمنصب آخر لـ(السيد جمال)، هو"عضو المجلس الرئاسي المصري الأمريكي"(٤).

٥- الثلاثاء ٢٩ ديسمبر ١٩٩٨، بباب تحقيقات، بعنوان "سوزان مبارك خلال توزيع عقود مساكن مشروع المستقبل للأسر البسيطة".. "شهد الإحتفال د. كمال الجنزوري رئيس مجلس الوزراء، ووزراء الإعلام و الإقتصاد و التعاون الدولي والمحافظون الذين تقع في نطاقهم المدن الجديدة، والسيد جمال مبارك رئيس جمعية إسكان المستقبل، ورجال الأعمال والمستثمرين".

** مع الخبر صورة للسيدة سوزان وبجوارها (السيد جمال).

** ملاحظة: تشابه بين هذا الخبر وخبر آخر بتاريخ الخميس ٢ ديسمبر ١٩٩٩، مع تطور وضع السيد جمال فيه.

٦- "٢"يناير ١٩٩٩، بباب الرياضة، بعنوان "في دورة حورس الرمضانية.. علاء وجمال مبارك سجلوا أهداف الصقور".

** يتابع الأهرام في سلسلة تقارير الدورة الرمضانية التي إنتهت بفوز الصقور، وصور ("السيد" جمال) وهو يلعب.

٧- الـثلاثاء ٢ فبراير ١٩٩٩،باب إقتصاد، بعنوان "دافوس مصـغر فـي القاهرة.. كبار خبراء الإقتصاد في العالم يناقشون مستقبل النمو الإقتصادي في مصر:.. "و يختتم اليوم الأول بجلسة عامـة يرأسـها جمال مبارك عضو المركز المصري للدراسات الإقتصادية، يتحدث فيها عبدالشكور شعلان".

** يُنبئـنا الأهـرام بمنصـب جديد لـ(السيد جمال)، وهو "عضو المركز المصري للدراسات الإقتصادية"[٥].

حـياد موقـع (محـاورات المصريين) الظاهري، لا يُقارن بسـخونة بـيان- مقـال (د.محمد الغنام)، المُوزع عبر المرصد الإعلامـي الإسلامي التابع للجماعة الإسلامية، ولن نستطيع وفق أي سـياق إيـراد أيـة أجزاء منه، سوى فكرته العامة.. التحذير وبألفـاظ قاسية من توريث الحكم، ومن خطوات-رصدها الغنام- لتحقـيق التوريث.. بإستثناء إشارته لخطوات مثل سيطرة (جمال) على الحزب الوطني، أما الباقي.. فالصمت أفضل.

الحلقة الثانية من الحملة نجدها على موقع بعنوان "لا لتوريث الحكـم"، اُفتتح به من قال إن إسمه (أيمن سلامه) إستفتاء لرفض التوريث، إستهله ببيان قال فيه[٦]:

"نحن مجموعة من ابناء هذا الوطن فى الداخل والخارج، من مثقفين وغيورين على هذا الوطن، ولا ننتمي الى أى تنظيم حزبي أو تـيار سياسي محدد، وقد إعتدنا الإلتقاء عبر منتديات الإنترنت لنناقش هموم الوطن وأفضل السبل للإرتقاء به".

ثم متحدثاً إلى "أبناء الوطن العريق " قائلاً : <<لاحظنا الآونة الأخيرة تحركات رسمية صريحة على الساحة السياسية، لا هدف لها سوى تأهيل السيد / جمال مبارك نجل رئيس الجمهورية / محمد حسني مبارك ليكون رئيسا للجمهورية خلفاً لوالده. مؤشرات هذه التحركات عديدة وواضحة، مثل إستحداث منصب لجنة السياسات بالحزب الوطني الحاكم وتعيين السيد جمال مبارك رئيساً لها بقرار من والده. وتتردد شائعات فيما يتم تداوله عن إتجاه لأن يحتل السيد جمال مبارك مناصب حساسة، ليكون هو المؤهل لتسلم الحكم تلقائياً، وبحكم الدستور فى حالة خلو منصب رئيس الجمهورية أو نقل تلك الولاية له حالياً فى وجود الوالد.

نرى السيد جمال مبارك وقد أصبح محط إهتمام الإعلام، ويدلي بالتصريحات السياسية المختلفة ويحدد الإتجاهات السياسية للدولة. أن كل ما يجرى على الساحة و تتداوله الصحف ووكالات الأنباء العالمية يؤكد بوضوح ان هناك قراراً قد تم إتخاذه بالفعل، وأن ما نراه حالياً هوالتطبيق العملي لتلك الخطة التصعيدية لكرسي الحكم.

نحن أبناء الوطن نرفض الحجر على إرادتنا المستمر طوال خمسين سنة، ونطالب الأحزاب والقوى السياسية والقانونية والمؤسسات المدنية والأدباء والصحفيين الشرفاء بالتصدي لهذا المخطط بكل السبل السلمية والقانونية والدستورية. ونتساءل عن شرعية ودستورية أن يعين السيد رئيس الجمهورية نجله في منصب قيادي في الحزب الأوحد الحاكم.

نحن أبناء هذا الوطن نرفض أن نُورث ونجدد مطالبنا الدائمة بإلغاء قانون الطوارئ وإقرار نظام ديمقراطي يسمح بتداول السلطة، وفتح بـــاب الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية وإجراء إنتخابات الرئاسة في ظل مناخ تعددي و في ظل إنتخابات حرة نزيهة.

كمـــا نناشد الشعب المصري العظيم بكل فئاته بأن يترك السلبية وأن يشـــارك فـــى العمل الوطنى البناء. وأن يتنبه لما يُحاك له وأن يبادر الجميع باستخراج بطاقات التصويت الإنتخابية التى تمكنهم من الإدلاء بأصواتهم بدلاً من أن تُزيف تلك الأصوت لصالح الأنتهازيين والإستغلاليين>>.

ثـــم يواصـــل البيان <<حيا شعب مصر : العالم يتغير من حولنا بخطـــى مُتسارعة، وبعد أن كنا بين دول المتقدمة في العالم، أصبحنا فـــي أخر الركب وسبقتنا دول ما كنا نحسب أن تساوينا، فضلاً على أن تسبقنا. إن الديمقراطية و الحريات و المجتمع المدنية أصبحت من الضـــروريات الأساســـية التى لا غنى عنها لكل شعب يريد ان يقف وســـط شعوب العالم وأن يتعامل معها فى إطار من الندية والتكافؤ. لقـــد حـــان وقـــت إنتقال السلطة الى الشعب، لا لتوريث الحكم، ولا لجمال مبارك.>>.

(أيمـــن سلامه) سواء كان إسماً حقيقياً أوو همياً، إُفتتح التصويت برفض التوريث، وحتى مساء الجمعة كان أكثر من "٥٠٠" مصري قـــد وقعـــوا بالرفض، وبتعبيرات مختلفة تتفاوت في حدتها.. بعضها بالإنجليزية وأغلبها بالعربية، عدا شخص واحد وافق على التوريث، إسمه (د. وحيد).

٢٠٠٢-١٢-١٥

هوامش

(١) مانشيت الصفحة الأولى: معركة التوريث على الإنترنت.

(٢) عقــيد شــرطة ســابق، كان مسؤولاً عن إدارة الأبحاث بوزارة الداخلية قبل إجباره على الإستقالة لإنتقاده فساد وآليات عمل الشرطة.

(٣) (محاورات) كان يرعاه القيادي الوفدي الراحل إبراهيم الدسوقي.

(٤) بعد شهور سيصبح (جمال) المتحدث المصري بإسم المجلس بدلاً من رجل الأعمال (شفيق جبر).

(٥) مركــز يســيطر عليه الليبراليون الجدد المقربون من (جمال)، ويقــول د.سعدالدين إبراهيم أن المركز يحصل على ٥٠% - تقريباً- من التمويل الأجنبي المُوجه لما يسمى بالمجتمع المدني.

(٦) البيان رغم إقتصاره على شبكة الإنترنت إلا أنه يظل أول تحرك علني ضد التوريث. أنظر(وثائق).

على مسئولية موقع مصـــري
على الإنترنـــت

مصادر بريطانية:

ترشيح جمال مبارك لرئاسة مجلس الشعب

***بقـــرار مفاجـــئ:** إغلاق باب السياسة في موقع"محاورات المصريين" بالشمع الأحمر.

دون أن توضح لماذا، فاجأت جريدة "حزبية"(١) قرائها صباح الإثنيـــن الماضي في صفحتها الأولى، بتنكرها لموقع (محاورات المصريين).. "المربوط" على موقع الجريدة.

لـــم تشـــر الصـــحيفة فـــي نفي صلتها بـــ(المحاورات) إلى مـــبررات "التـــنكر"، وانهـــا معركة رفض توريث الرئاسة، التي شـــارك بهـــا الموقـــع بشكل "حيادي"، برصده إرهاصات الظهور الإعلامي لـــ(جمال مبارك).. وكأن "الجريدة" لم تكتشف "الرصد" إلا بعـــد نشـــر (العربي) العدد الماضي تفاصيل الحملة، رغم أن المناقشـــات المـــتعلقة بالإستفتاء في "باب السياسة" بالموقع سبقت نشرنا بخمسة أيام كاملة.

تنكر"الجريدة" للموقع توقف عنده أكثر من موقع على الشبكة العنكبوتـــية، منها (إيلاف) و(محيط).. والأخير أكد أنه دخل إلى

موقع (المحاورات) عبر موقع "الجريدة"، بعد-ورغم- إعلانها أنه لا علاقة لها به.

(المحاورات) أخبر أعضائه و زواره في الرابعة و ٢٩ دقيقة من مساء الإثنين الماضي أنه"منذ لحظات أُغلق باب السياسة"، مع رجـــاء للمشرف عليه بـــ"عدم فتح أي موضوعات تتعلق بالسياسة الداخلية،خاصـــة المـــتعلقة بالحكم في أي من الأبواب الآخرى.. وذلك حتى إشعار آخر". مضيفاً.. "و إإليكم الأسباب"، و"الأسباب" إنحصرت في تكرار بث نفي "الجريدة" أية علاقة لها بالموقع، كما نُشر في صفحتها الأولى.

تعليقات زوار وأعضاء الموقع، وإن عبرت عن تعاطفها مع المشـــرفين علـــيه إزاء الضغوط التي مُورست عليهم، لم تخل من إنـــتقادات سياســـية حادة.. ومن السخرية من رد الفعل "الجزبي/ الرســـمي" على ما نشرته (العربي). ذات التعليقات وجدناها على موقـــع الإســـتفتاء، مصـــحوبة بنكـــت"حراقة". وبالمناسبة، عدد المشاركين في الإستفتاء تجاوز حتى مساء الجمعة "٧٠٠" رافض لفكرة التوريث.

(محاورات) قبل قطع "لسانه السياسي"، لـــ"يثأثأ" كما عبر أحد أعضـــائه، فجـــر قنبلة مدوية الأحد الماضي، بنسبته لمصادر في مجلس العموم البريطاني، أن هناك إتجاهاً لتنصيب (جمال) رئيساً لمجلـــس الشـــعب فـــي وقت قريب. وأنه يدور كلام هامس عن "التنصيب" في أروقة مجلس العموم، خصوصاً بين رجال الحزب المعارض "المحافظون"، الذين رحبوا بأي قرار في هذا الشأن، في حيـــن إستند، لتأكيد ذلك، برلمانيو حزب "العمال" الحاكم على لقاء

عقـده (جاك سترو) وزير الخارجية مع (جمال) على إنفراد خلال زيارتـه الأخـيرة لمصـر.. وقـبلها في لندن. ورأت المصادر البرلمانـية البريطانـية إن إتجـاهً تعييـن (جمال) رئيساً لمجلس الشـعب، يـتفق مع كونه منصباً "يعطي صاحبه الحق في رئاسة الجمهورية إن حدث أي شئ للرئيس الشرعي".

و (جمـال مـبارك) فـي الثلاثينـيات، متخرج من الجامعة الأمريكـية بالقاهـرة حسـب المصادر البريطانية، التي ترى انه المؤهـل لحكـم البلاد مدنياً، لأنه متعاطف مع السياسة الأمريكية والغربـية، وهو الآن يرأس لجنة السياسات داخل الحزب الوطني الحـاكم. وحسب الموقع، فإن الكلام في أروقة المجلس البريطاني عـن خلافـة (جمـال مبارك) لوالده، قد يكون مصدره تسريب معلوماتي من وزير الخارجية (سترو)[٢].

و تعلـيقاً علـى التسـريبات، وقـبل أن يغلق باب السياسة بساعات، نصح أحد الأعضاء (الأخ جمال) قائلاً: "على ما أظن–وبعـض الظـن إثم–الدستور المصري يمنع رئيس مجلس الشعب مـن الترشيح لمنصب رئيس الجمهورية في حالة خلوه لأي سبب مـن الأسـباب". مضيفاً "وحسب الظن.. فالخبر مكذوب، من ثم فتحليل مجلس العموم البريطاني خطأ.. والله أعلم".

و يـتدخل آخر موضحاً "عزيزي.. تصحيح.. رئيس مجلس الشـعب يـتولى رئاسـة الدولـة في حالة حدوث مكروه لرئيس الجمهوريـة (مؤقتاً)، لحين إختيار رئيس آخر، وهو ما حدث في حالة إغتيال السادات بتولي صوفي أبوطالب رئيس مجلس الشعب الرئاسة.. هنا أبقى شيل(مؤقتاً) دي.. حسبي الله و نعم الوكيل".

ثالــث إسمه (هشام عبدالرحمن) يطمئن زملائه بأن (الإستاذ عــادل)- مُشرف الموقع-بخير والحمدلله، وأنه سيبحث معه الأمر كلــه، غداً، مُؤكداً "أنه للأسف حالة الإحباط عندي وعنده شديدة، لدرجة شلت تفكيرنا معاً".

يليه تعليق من خامس.."الحمدلله طمنتنا عليكم.. ربنا معاكم". ثــم ســادس.."حــتى الكلام.. مجرد الكلام عايزين يحرمونا منه، طيــب يــا أخانــا، حــد يبعت لنا تاني الوصفة بتاعت عمل "سد الحــنك"، عشــان دي هاتبقى الوجبة الرسمية في مصر". أعقبها تعلــيقات عــن "التأتأة" التي يعاني منها الجميع الأن، وأن الألسنة تشكو من جرح "قطعي" موش كدمة.

و ضمن سياق الحملة، إمتلأت الإيميلات بصور حكام مصر، مــنذ (محمــد علــي) حتى الأن، كلها مأخوذة من موقع الرئاسة الرســمي، والصورة الاخيرة.. المُضافة من المشاركين في الحملة لــ(جمال مبارك).

صــدى معركة التوريث، امتد إلى مواقع عربية، تشكو أيضاً مــن بــروز أســماء أبناء الحكام كـ"خلفاء"، منها موقع (الجبهة الوطنية الليبية)، الذي نشر مقالاً ثم بياناً، صاغه (سليمان الشامخ) على نفس نمط البيان الذي دشن الإستفتاء المصري، مُطالبا الليبين بالتصويت بالرفض، إسوة بجيرانهم وأشقائهم المصريين.

٢٠٠٢-١٢-٢٢

هوامش

١- الوفد.

٢- تفاصيل أكثر عن الدور البريطاني في "دولة سوزان مبارك".

بينما نحن غائبون تماماً:

تكهنات غربية ترصد صعود سيناريو "التوريث"

خلافاً لما حدث داخل مصر، نُوقشت قضية"الخلافة" خارجها منذ عام ١٩٩٥، تخفت حيناً وترتفع أحياناً.

الإهتمام الغربي بـ"ما بعد مبارك"، تفجر لأول مرة بعد محاولة إغتيال الرئيس في أديس أبابا عام ١٩٩٥، ثم في بورسعيد عام ١٩٩٩[١]، وتحولت التساؤلات إلى إبنه الأصغر مع الحديث في ذات العام عن حزب جديد يؤسسه بإسم (المستقبل)[٢]، ثم تصاعدت مع ضمه للصف الأول بالحزب الحاكم عام ٢٠٠٠، وبلغت حدتها قبل وبعد مؤتمر الحزب الوطني في سبتمبر الماضي.. وتجددت التلميحات مع حضوره إحتفالات عيدالميلاد المجيد قبل أيام.

عشرات المقالات ناقشت القضية، (فاينانشيال تايمز) في ٢-٦- ١٩٩٥، و(نيويورك تايمز) أكثر من مرة، منها(٨-١١-١٩٩٩ و ٣-١٠-٢٠٠٢)، وأيضا (الديلي ستار) أكثر من مرة. ومعنا دراستان.. أولاهما من معهد دراسات الشرق الأوسط الأمريكي الجنسية.. الصهيوني الهوى، أعدها (دانيال سليمان)

المحلــل بــــ"هــاآرتس".. و بالمعهد نهاية ٢٠٠١، وهي الأكثر إسهاماً في التعرض للقضية، ورصداً لها منذ بداياتها.

تحــت عــنوان" جمال مبارك.. رئيس مصر؟"، يبدأ (دانيال) دراسته متسائلاً: من يخلف مبارك؟. يُكمل: لاأحد عــنده إجابــة كافية، لأن الرئيس المصري يرفض تعيين نائباً له غالــباً ســيكون الرئيس التالي له، مبرراً التساؤل بقلق المصريين علــى مســتقبلهم بعد مغادرة مبارك للمشهد السياسي.. خشية أن تــتعرض البلاد لــ"تقلبات واسعة النطاق، سيكون لها نتائج هائلة على الشرق الأوسط كله".. وهذه النتائج ، بالطبع-يضيف دانيال- تشغل بال صُناع القرا بدول أقليمية وغربية.

(دانــيال) كما غيره من المُعلقين على "الخلافة"، يورد فقرات "تعريفــية بمســيرة الرئيس"، مشيراً إلى أنه الأكثر بقاءً على قمة الســلطة في مصر الحديثة منذ (محمد علي).. ومُسهباً في رصد ترشــيحات لأسماء، ظهرت منذ بداية التسعينيات كـــ"خليفة"، حتى ظهــور (جمال) على قمة "الترشيح البديل"، وكلها أسماء خرجت مــن مؤسســة سيادية[٣]، هي الأكثر إحتراماً و تقديراً من الشعب المصري، مشيراً هنا إلى حوار (الأستاذ هيكل) لــ(روزاليزسف)[٤]، علــى حلقتيــن، تعبيراً عن مخاوف المصريين من "الفراغ"، وهــي نفس التخوفات التي تجددت في سبتمبر ١٩٩٩ مع الإعتداء علــى موكــب الرئيس في بورسعيد، ليكون الحادثة التي إستغلتها صــحف المعارضــة لإثــارة قضية خلافة الرئيس ثانية، مُطالبة بإختيار نائباً له.

وهــناك مبرر آخر للحديث عن "الخلافة" عام ١٩٩٩، يتعلق بالإبن الأصغر لمبارك وفرص خلافته لأبيه، خاصة بعد ما تردد عن تكوينه حزباً بإسم (المستقبل). أكثر منّ مقال أشترك في رصد إشـــاعات تكوين الحزب كنقطة إنطلاق (جمال) نحو السلطة، منها (الديلي ستار) في ٢٣-٩-٢٠٠٢، وبالطبع تكرر نفي الرئيس.

قــبلها ،لــم يكن (جمال) يعُرف إلا كـــ"رجل أعمال" شاب، تــتركز أنشــطته بلــندن، وإن إرتبطـــت بمصر وبمنطقة الشرق الأوسط، كما أوضح هو بنفسه في حوار تفصيلي وفريد عن نشاط شــــركته، نشـــــر يـــــناير ١٩٩٩، تجـــــده علـــــى موقـــــع (www.winne.com)، أشـــار فــيه إلى عمله ببنك أمريكي في مصـــر لخمس أو ست سنوات، ثم إنتقاله إلى فرع البنك بالعاصمة البريطانـــية، ثم تفرغه مع عدد من زملائه لتأسيس شركة أوراق مالية "صغيرة"، لها علاقات وثيقة بأسواق مصر والشرق الأوسط وأفريقيا، ثم إفتتاح فرع لها في مصر عام ١٩٩٧، و بعدها بأشهر إفتتح صندوقاً مكرساً لمصر وحدها بإسم"إي.إف.جي"، على غرار صـــندوق امريكـــي مماثل، وأن الصندوق المصري تحرك وقتها برأسمال إرتفع تدريجياً إلى ٥٤ مليون دولار.

حـــوار (جمـــال) الطويـــل، الذي توزع بين أنشطته الخاصة ورؤيـــته للتطورات الإقتصادية في مصر، والمشاكل التي تعرقل قـــدوم الإســـتثمارات لها، لم يكن أول ظهور صحفي له.. خارج مصـــر بالطبع. ففي عدد ١٤-١١-١٩٩٦ من(نجم الأردن)، نجد تقريـــراً و لقاءً سريعاً معه عن مؤتمر ضم "٥٠٠" رجل أعمال، من "الدول الثلاث"(٥).. للترويج للسلام في مواجهة تعنت نتنياهو،

وستجد إشارات متناثرة.. ومتزايدة تدريجياً له على مواقع إقتصادية ومالية مُهمة، منها بورصة (نيكي) اليابانية.

بالطبع عُرف(جمال) بعدها كعضو ثم ناطق بإسم"المجلس الرئاسي المصري الأمريكي"، الذي ضم مجموعة من رجال أعمال البلدين.. وإنطلقت التغطية الإعلامية له.. ومعها الحديث عن "الجمهوركية"[٦]، ومع إنتقادات سياسية للفكرة، حسب معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، شهد سيناريو" التوريث" وقتها تحولات جوهرية بإنضمام (جمال)، يناير ٢٠٠٠، رسمياً للحزب الحاكم، أو(إن.دي.بي)، كما تُعرفه الصحف الغربية إختصاراً، وبدأ (مبارك) بتركيز الإنتباه على إبنه (جمال)، فلم يعد يمر إسبوع دون أن تُنشر صوره وأرائه، غالباً بالصفحة الأولى، لكن "المباركان"، يقصد تقريرالمعهد الأب والأبن، كررا النفي، ونسب للأب- تعليقاً على عدم تسميته نائباً له - "قد أختار شخص يرفضه الشعب"، ولأسامة الباز"جمال لا يجري وراء أي منصب رسمي، إنه شاب يهتم بمستقبل بلاده".

(الحزب الوطني) الذي أصبح بوابة "الصعود الآلي لجمال" كما وصفه /www.nationalrevew.com

comment comment aheri010203 asp في ٣-١-٢٠٠٣، حملهُ المتابعون للقضية بأقسي التوصيفات. تقرير معهد الشرق الأدنى قال أنه"غارق في عقدين من فساد الحرس القديم.. والقصور الذاتي"، مضيفاً .. وحتى لو"إلتزم جمال بوعود الإصلاح، سيحتاج جهوداً جبارة، تتطلب فريقاً كاملاً". وقالت (ديلي ستار).. "أنه لم يُخلق متماسكاً فكرياً، يُصور نفسه إشتراكي

أحـــياناً.. ورأســـمالي أحـــياناً، إســـلامياً وعلمانياً في آن واحد".. فـــ"الحـــزب الذي يدعي أن عضويته بها ٤،٦ ملايين مصري، يجـــذب عوائل ريفية، تتنافس مع جيرانها على الرعاية الحكومية، وسياســـيين إنتهازييـــن، يـــريدون فقط مقعد برلماني، أوأصحاب مصـــلحة، هدفهـــم صُـــناع القرار، بالتالي يجذب القليل جداً من المؤمنين حقاً بمبادئهم".

توصـــيفات (الوطني) السلبية كثيرة جداً، على حصان القضاء علـــيها جـــاء (جمـــال). والمعـــركة مع "الحرس القديم" رصدتها الصحف المصرية، أشارت أكثر من جريدة غربية إلى دور بارز لـــ(العربي) الناصري.. وكيف تمت بإيلام شديد للحرس.. بحجة "جلـــب دم و فكـــر جديدين للحزب الذي يبدو-حسب ديلي ستار- الأقل قدرة سياسياً بين منافسيه".

فمـــع نهايـــة مؤتمـــر (الوطنـــي)، سبتمبر الماضي،إمتلأت الصحف الأجنبية بتعليقات عن "المذبحة" و"الصعود الآلي". أخذت (ديلي ستار) مانشيت (العربي).. "نهاية عصر والي".. مؤكدة أنه لـــم يكـــن مؤتمـــرا بقدر ما كان سلماً لتصعيد "الوريث"، وقالت (ليبراســـيون) الفرنســـية.. "مصـــر تتجه لتوريث الرئاسة لأسرة مـــبارك"، وتحدثت (الواشنطن تايمز) عن .. "الوقت المناسب جداً للقفزة الأعظم لجمال"، مُستندة في إحدى فقراتها لقراءة (العربي)، التي وصفتها باليسارية، لنتائج المعركة.

أســـفرت "المعـــركة" عـــن إنتصار "مجموعة جمال"[٧]، نقرأ أسمائهم على موقعwww.rccnet.net/ home/spreportiegy.htm، ممـــدوح البلتاجي، زكريا عزمي،

يوسـف بطـرس غالـي، محمود محي الدين، نادية مكرم عبيد، حسـين كامل بهاءالدين، و رجل الأعمال أحمد الزيات، وعضوا مجلس الشعب هشام عواد، وحسام بدراوي.. وعلي الدين هلال.. أو"دسوقي".

(علي الدين هلال) أو(دسوقي)، رأت (نيويورك تايمز) في ٣-١٠-٢٠٠٢، أنه "المُعبر" عن "الفريق الجديد".. أو أنه هو نفسه "المُجدد"، قال لها: قدمنا مبادئ ودم جديدين في المؤتمر. (دسوقي) سـخر مـن المطالـب الأمريكـية بتصدير الديمقراطية، واصفاً (كوندوليزا رايس)-مشوحاً- بـ"إنها تحلم".

مُحـررة النـيويورك أسندت لدبلوماسيين غربيين وصفها لـ(دسوقي) بأنه "مُنظر الدم الجديد"، والمُعلم السياسي لمن يُنظر إليه علـى نحـو مـتزايد كـ"وريث"، مُشددة على أن ما حدث"مجرد تزييـن لنخـبة جديـدة مـن جيل أصغر".. و"أنه لا حديث عن ديمقراطية حقيقية أو عن إصلاح فاعل".

(دسـوقي) دافـع بـأنهم يسيرون "نحو طريق ثالث للحزب، كجسـر بين الحزب بطرازه القديم والراديكاليين"، مشيراً إلى لجنة خاصـة لمطـاردة الفساد بالحزب يرأسها القاضي (عادل قورة). المُحـررة تركت تصريحات (دسوقي)، وعادت إلى الدبلوماسيين الغربييـن، الذيـن قللـوا من أهمية الحديث عن التجديد والإنفتاح الإقتصادي، لأن"المناخ السياسي العام يظل قمعياً".

(جمـال) الـذي رأت(الواشـنطن تايمـز) أنه أكتسب بعض الشعبية من معركته مع فساد الحرس القديم، وصفه تقرير لصوت أمـريكا بأنه يمثل مصالح رجال الأعمال، في حين قال لها (أحمد

الـــزيات)، صـــديق جمال، والذي أُختير معه ضمن "زعماء العالم القادميـــن".. أن"مصر ليست ملكية".. و"الرئيس مبارك كما أعتقد ضد التوريث.. ومع ذلك يعتقد(الزيات) أن"جمال زعيم عظيم".

فـــي المقابل رأى(تيم سوليفان) الاستاذ بالجامعة الأمريكية أن "جمـــال لامـــع جداً، وشاب لبق".. لكنه "يجب أن يأتي عن طريق إنـــتخابات نـــزيهة، ليكتسب أوراق إعتماده السياسية". (تيم) رأى أيضاً أن "مصر ليست من جمهوريات الموز، ولن يكون التوريث مثل طرقعة الأصبع.. فهو يحتاج لكفاح مُريديه".

هـــل (جمال) آت.. أت.. كما يُصر البعض؟. سؤال شغل من كتبوا عن "القضية"، فالمسألة لا تتوقف عند تصفية

الحـــرس القديـــم، كمـــا نـــبه تقرير معهد الشرق الأوسط، فهناك "مؤسســـات حاســـمة" في مصر يجب أن تدعمه، وإذا لم تدعمه، يـــنفرد المعهـــد بترشيح شخص آخر، قادر على خوض إنتخابات الرئاســـة إذا تمت بحرية.. (اللواء عبدالسلام محجوب).. "الحاكم الناجح جداً للإسكندرية".

بسرعة

** بالطبع، المقالات والدراسات لم تكن لتتيسر لنا سوى مع حملـــة موقـــع (مصـــريات)www.masreyat.org،الـــذي دشن الإســـتفتاء علـــى مـــا أســـماه "التوريـــث"، ثم تضامن معه موقع (محاورات المصريين) www.egyptiantalks.org والذي عاد بعد إغلاقه لمناقشة ذات القضية، ليكشف أن (إبراهيم الدسوقي)..

القيادة الوفدية البارزة، كان وراء عودته عملاً بحرية التعبيرعن الرأي.

** أكثر من موقع تشجع لمناقشة الفكرة، منها موقع الإخوان www.ikhwan-info.net، الذي قيل على (محاورات) إنه أغلق باب مناقشتها، وأوضح مُشارك آخر بأنه مازال مفتوحاً. وإكتفى موقع (الممنوع) www.gn mamnoo3.com/mamnoo3٤ الذي يشرف عليه (عمرو أوديب) بإعادة نشر ما نشرته (العربي).

**١٥٠٠، تقريباً شاركوا في الإستفتاء على موقع /http://www.petitiononline.com mod_perl/signed.cgi?ourEgypt، عائلات كاملة "صوتت" بالرفض، وشخصيات عامة،

منها الشاعرة عليه الجعار والفنانان هاني سلامة ومحمد منير.. والزميل جمال فهمي.

** (مصريات) نظم إستطلاعاً موازياً، رفض ٩٢% من المشاركين فيه فكرة التوريث.

١٢-١-٢٠٠٣

هوامش

(١) قُــتل حــرس مبارك فيها مواطناً قيل أنه كان يرفع سكيناً، وتبين من التحقيقات أنه كان يرفع ورقة/ شكوى لتقديمها إلى مبارك.

(٢) "أشــباه الأخــبار" التي أحاطت بالحزب المُجهض وقتها ضمت خليطاً عجيباً من ناصريين وليبراليين ومستقلين!.

(٣) أصبح مفهوماً أنها المؤسسة العسكرية.

(٤) أثــار حوار (هيكل) مع الزميل (عادل حموده) وقتها غضب الرئاسة، حــتى أن رئــيس تحريــر (الفجــر) الآن توقع إقالته من منصبه كرئيس تحرير"فعلي" لروزا.. فأخذ أجازة إختيارية حتى طُلب منه العودة للعمل.

(٤) مؤتمــر تطبيعـــي ضم وقتها رموز سلطة وثروة من مصر والأردن وإسرائيل.

(٥) "الجمهوركية".. نحت لغوي لـــ(د. سعدالدين إبراهيم) في مقال شهير له بنفس العنوان، وقيل على نطاق أنه سبب غضب"العيلة" عليه.

(٦) بالطــبع جــرت على خريطة"رجال جمال" تغيرات متلاحقة، وكاد أن يختفي منها أصحاب الشعر الأبيض بعد أن أدوا المطلوب منهم.

صحف العالم تشيد بجرأة

(العربي)

في شهادة جديدة لصدق شعار (العربي).."حرية تكفي ألف صحيفة"، بثت وكالة (أسوشيتدبرس) تقريراً مطولاً عن مستقبل النظام السياسي في مصر والإستفتاء على توريث الرئاسة عبر شبكة الانترنت، مشيرة الى أن (العربي) هي الجريدة المصرية الوحيدة[1] التي اخترقت المحاذير السياسية وتعرضت للقضية التى وصفتها بـ"الحساسة".

التقرير الذي "تماس" مع فقرات مطولة من ثلاثة تقارير نشرتها (العربي) إلتقطته "صحف العالم"-بدون مبالغة- و أعادت نشره، من بينها (هيرالد تريبيون) و(هيرالد ميامي) و(ديلي ستار) و(الجارديان) و(هآرتس) الصهيونية و(ايطاليا اليوم) الناطقة بالانجليزية و(البايس) أبرز الجرائد الاسبانية. و من هونج كونج الى صحف عربية ، فضلا عن بث التقرير وصور فوتوغرافية لتقارير (العربي) على مواقع الانترنت.

(العربي) ص ١ عدد١٩-١-٢٠٠٣

الهوامش

(١) رأى محكمـــوا "جائزة الإنفراد" بنقابة الصحفيين أن الملف غير صالح للفـــوز بها عام ٢٠٠٤، وذهبت الجائزة لأبنة (مفيد فوزي) عن حوار لها مـــع (يوسف السباعي) نُشر في(نصف الدنيا). التي كانت ترأس تحريرها (سناء البيسي). (البيسي) كانت من بين المحكمين.

(٢) وثائق: تقرير الوكالة كما نشرته (الهيرالد تريبيون).

الرئيس مبارك :
لا توريث للحكم فى مصر [1]

الأول من يناير ٢٠٠٤ م

أكـد الرئيس مبارك أنه لا توريث للحكم فى مصر ووصف فكرة التوريث بأنها شائعة ظهرت وألفها بعض الناس وصدقوها .

و قـال الرئـيس مـبارك فى حديث تليفوني للإذاعي (عمر بطيشـة)، بـثه التليفزيون على قناته الأولى، أن نظام مصر نظام جمهـوري لا توريـث فيه للحكم وأنه لا توجد أساسا فكرة لهذا الموضوع .

و أشـار الرئـيس مـبارك إلي أنه يتمني ظهور العديد من الشـباب حتي تكون هناك قاعدة عريضة لخدمة المجتمع المصري فى كل المجالات .

*   *   *

قـال مـبارك "لا توريـث للحكم في مصر"، ووصف فكرة التوريـث بأنهـا "شائعة ظهرت وألفها بعض الناس وصدقوها"، مشـيراً إلى أنه يتمنى "ظهور العديد من الشباب حتى تكون هناك قاعدة عريضة لخدمة المجتمع المصري".

وقــال مبارك الذي كان قد تعرض لوعكة صحية خلال القاء كلمــة أمــام مجلس الشعب أواخر العام الماضي إن "نظام مصر جمهــوري، لا توريــث فــيه للحكم، ولا توجد أساسا فكرة لهذا الموضوع".

هوامش

(١) نقــلاً عــن موقع هيئة الإستعلامات.. وما بعدها نص ما تناقلته وكـــالات الأنباء. تردد وقتها أن النفي جاء بناء على طلب مؤسسة سيادية عبرت عن قلقها من سيناريو التوريث.

الجمهوركية

كلهم نفوا علاقتهم به.. وأغلبهم مدح (جمال):

صحافة التوريث

*سمير رجب: مايو باقية.. والفكر الجديد لا يعادينا.

*حسن الألفى: ندعو للتحديث لا للتوريث وأديب يسأل عن آرائه.

*كرم جبر: جمال تعب زى أى شاب لحد ما لقى شغلانة فى بنك.

*عبدالله كمال: تبتزون البرنامج الإصلاحي بالتوريث.. وجمال طاقة محركة ورؤية جامعة.

*محمد أبوالحديد: التوريث.. ده عندكم بس.

*أحمد رشدان: إللي نعرفه أحسن من إللي مانعرفوش.

للمعارك أسلحتها المختلفة.. منها الإعلام وفي القلب منه الصحافة.. أياً كان نوع المعارك، وبعضها بالنسبة لنا فخار يكسر بعضه.. كما هي المعركة بين الحرس القديم وفريق التوريث.

فـــي تغطيتها لزيارة (جمال مبارك) الأهم لواشنطن – يوليو الماضـــى– توقفــت (سمدار بيري) مُحررة الشئون العربية عامة والمصرية خاصة بـــ(يديعوت أحرنوت) عند مشاركة الصحفيين (أسامة الغزالى حرب) و(عبدالمنعم سعيد) فى الوفد المرافق لنجل الرئـــيس، وبعدها بسطرين تحدثت عن زعماء عرب أعدوا أبنائهم لخلافـــاتهم، مُســـتطردة: لكـــن فى مصر العملية مختلفة.. يعدون (جمـــال) مـــن الأســـفل ليُســـلم ملايين المصريين بالأمر الواقع، بواسطة الصحافة المؤيدة.

وفي تغطيته لمعركة تكسير العظام بين الحرس القديم وفريق التوريـــث، يـــنقل موقع (إيلاف) المؤيد بشدة لـــ"الليبراليين الجدد" الإسبوع الماضي، شكاوى "الفريق" من أن وزراء ومسئولين كبار من الحرس يحرضون صحفاً مختلفة على ملاحقة أعضاء الفريق على صفحات الجرائد.

وبالـــتوازي مع درجاتٍ صعود (جمال) الإعلامى والسياسى، تابعـــنا مئات المقالات التى تنظر له.. لرؤاه المستقبلية (!!)، ومنذ أشـــهر اقترنـــت عـــبارة "المُقربة لجمال مبارك" ببعض الصحف الحديثة الصدور نسبياً.

وفي أحد إجتماعات لجنة السياسات شن (جمال) هجوماً حاداً علـــى جريدة (مايو) فى حضور رئيس تحريرها (سمير رجب).. وقـــيل إنه وصفها بأنها "نشرة ما يُصدرهاش تلامذة بمدرسة"، ثم كـــرر هجومـــه بصـــورة أخف رداً على تصريحات لـــ(صفوت الشـــريف)[1] للجـــريدة منتصـــف مايو الماضى، وهو ما أعتبره

كثيرون مقدمة للتخلص من الجريدة، التى قيل إن (جمال) أخذ منذ لحظات صعوده الأولى موقفاً سلبياً منها.. ومن إسمها.

و(مايو) والمؤسسة الصحفية التى يرأس مجلس إدارتها وتحريرها (سمير رجب).. (دار التحرير)، أخذت موقفاً ملفتاً من آخر حلقات تكسير النظام، فلم تنشر أياً من المطبوعات التى يرأسها (سمير) خبر ترشيح (صفوت) لرئاسة مجلس الشورى حتى انتخابه فعلاً، لكن (سمير) نفى لنا ذلك، وأرسل لنا ثلاث نسخ من (مايو) و(الجمهورية) تتحدث عن ترشيح رئيس جديد للشورى بدلاً من (مصطفى كمال حلمي).

قلت لـ(رجب): لكنك لم تذكر الإسم صراحة؟. رد.. ومن ذكره؟. أشرت له لصحف قومية ومستقلة، فعلق.. ذكرناه يوم ترشيحه.. في الطبعة الثانية.

(سمير) نفى غضب (جمال) على (مايو)، مشيرا إلى تأكيده أكثر من مرة على تطورها.. وإثارتها الهادئة وبموضوعية للقضايا المختلفة. (سمير)، الذى يكمل عامه الخامس والستين فى ٨/٢٥ المقبل، نفى تماماً أية نية لدى أصحاب "الفكر الجديد" للتخلص من (مايو)، أو أن تكون (المستقبل الجديد) منافساً أو بديلاً، وإن لم ينف صلتها بالحزب. قائلاً: طب ما (الأحرار) بيطلع عشرين جريدة، مشيراً إلى أنه وافق بخط يده على رئاسة (محمد أبوالحديد)[٢] من (الجمهورية) لتحرير (المستقبل الجديد). بينما كنا نتحدث كانت (الجمهورية) تنشر في صفحتها الأولى الثلاثاء الماضي، التهنئة الأولى والوحيدة لـ(الشريف) على ثقة (مبارك) وتوليته رئاسة الشورى.

لــم تنفرد الإصدارات التى يقودها (سمير) بعدم نشر ترشيح ولا إسم (صفوت) للشورى، فــ(نهضة مصر) التي يصفها البعض بـــ" المُقــربة مـــن جمال"، أو من لجنة السياسات لم تنشر هي الأخـــرى، لكن الأسباب مختلفة.. بل إن أحد أعدادها توقف طبعه بالأهـــرام منتصف الليل لتغيير المانشيت الذى يتحدث عن ترشيح (صفوت) وإضطرت إدارتها لتغييره والإبتعاد عن القضية كلها.

غير أن رئيس تحريرها التنفيذى (محمد حسن الألفى) يستبعد أية علاقة مباشرة لــ(لشريف) بــ" التضييق" على (نهضة مصر) كجـــزء من الصراع داخل النظام قائلاً: هذا تصرف ينطوي على حساســية موظـــف في رقابة المطبوعات بوزارة الإعلام أراد أن يجامل وزيره، وهو تصرف نتفهمه ونقدره.. رغم تعرضنا لأذى نفســي ومهني كبير، فالكل ينشر سوانا، رغم أننا كان لدينا القصة كلهـــا.(الألفي) حرص هنا على التعبير عن إحترامه لــ(لشريف) ودوره فى تسهيل إصدار (نهضة مصر).

فـــى سياق المعركة، وقبلها، نشطت كتابات وصحف أخرى دعما لما يسمونه "الفريق الإصلاحي"، ففي (روز اليوسف)، ومنذ عامين تنافس مدير تحريرها (كرم جبر)[٣] ونائب رئيس تحريرها (عـــبدالله كمال)[٤] على تغطية أنشطة.. والترويج لفريق (جمال)، ولإصلاحه القادم لا محالة، في الحزب.. وفي الدولة.

(كـــرم) وعدنـــا بالحديـــث معـــنا وضـــرب أكثر من موعد وإتصـــلنا.. بلا مجيب، بينما على مواقع النت التى تقاوم التوريث تطـــارده عبارات حادة بعضها يسخر من تقديمه لــ(جمال).."الذى عمـــل لعـــدة سنوات مثل أى شاب مصرى.. حتى وجد عملاً فى

بـــنك بعـــد طـــول شقا"، وسخرية أخرى من (حسنين كروم) في (القدس العربي) من "الشباب الذى نزل بالبارشوات".

(عـــبدالله كمـــال) بادرنـــا بـــالهجوم.. فقضية التوريث نحن افتعلـــناها لنبتز البرنامج الإصلاحي بإطلاق سحب دخان، ونهدر الحقـــوق الدســـتورية لمواطـــن هو ("السيد" جمال مبارك)-لاحظ تســـييده له- إستناداً لصفته العائلية. (عبدالله) شدد على تأييده لأى فكـــر إصـــلاحي عـــبر كتاباته فى (روزا) بصفتها مجلة مستنيرة ســـواء كانٍ سياسياً أو اقليمياً، صادر عن الوطني أو المعارضة.. التجمع مثلاً أو عن مكتبة الاسكندرية.

(عـــبدالله) ذكـــرنا بـــنفى (مبارك) أية نوايا للتوريث وتهليل (العربـــي) لنفيه.. ثم عودتها لإثارة القضية مرة أخرى، مؤكدا أنه ضد أنه التوريث، وفى نفس الوقت يدرك أن ("السيد" جمال) طاقة مُحـــركة ورؤية جامعة لبرنامج جيل كامل، مُتهما المعارضة بعدم طـــرح رؤى بديلـــة لمـــا يطرحه الإصلاحيون والإكتفاء بمطالب هُلامـــية، بينما ("السيد" جمال) نجح خلال أربع سنوات فى أحياء الحزب الهش وأن يملأ الساحة.

(عبدالله) نفى أيضاً وجود توجه بين صحفيين أوصحف لتأييد الفـــريق الإصـــلاحي، فمن وجهة نظره أن هذا الجيل الإصلاحي يفتقد الإعلام الذى يعبر عنه.

مـــن الصحف التى طالتها اتهامات "المُقربة من".. (المصري الـــيوم)، فهي مُمولة من مجموعة رجال أعمال.. الطبقة المتحالفة مـــع الفريق الإصلاحي أو التوريثي، وإستمرار (جمال) في تأثيره علـــى الحكـــم إستمرار للمكاسب التي حققتها الربع قرن الأخير.

و(المصــري الـيوم) تحديداً، ومنذ أول أعدادها شنت حملة ضد (الشــريف)، فــي اخــتراق لخط أحمر معروف، حتى قيل "تنتقد مبارك ولا تنتقد الشريف"، وإستمرت حملتها.. حتى وبعد ترشيحه للشــورى، وكأنها تشارك فى التمهيد للإطاحة به، كما أن الجريدة الــتى اقتربــت مــن الرئاسة، فى عدد من مقالاتها وفي مانشيت وحيد، لم تقترب بحرف من قضية التوريث.

هــل نفــتش فى الضمائر كما اتهمنا (عبدالله كمال)؟. حملنا تســاؤلاتنا إلــى (أنور الهواري) رئيس تحرير (المصري اليوم)، إتصــلنا أكثر من مرة، والخميس الماضى حولونا على مكتبه لنجد إجابة حاسمة "يا أستاذ أنت تركت فكرتك وكلامك ودخلناه للأستاذ أنور.. وهو ما قررش لحد دلوقت" . حاولنا التعليق فجاء الرد بــ" زهق".." يعني أنا عارف الموضوع أهو.. ح نبقى نتصل بك".

مــع (نهضــة مصر) تتزايد الإتهامات، لكن رئيس تحريرها التنفيذي (محمد حسن الألفي) رد بأن الجريدة "ليست مملوكة لأى شــخص ولا لأية مجموعة.. مالكها الوحيد هو القارئ، ولا نسعى للتعبيرعــن فئة بعينها أو تمكين شخص بعينه". قلت له لكنها تظل مملوكــة للإعلامــي (عماد آديب)[٥] الذى يرأس تحريرها، وهو حسب معلوماتي الوحيد الذى طالب صراحة بتعيين (جمال) نائباً؟. (الألفي) طالبنا بسؤال (الإستاذ عماد) عن رأيه، مضيفاً.. "كرئيس تحريــر لــم يُطلب مني في أي وقت مُمالأة مركز أوشخص.. أو الإنحــياز لتوجه معين، نحن متفقون على سياسة تحريرية تنحاز لمصالح الناس وللمستقبل.. لأن البلد شاخت، وهو ما انعكس على عقم الخيال والفشل في ايجاد حلول لمشكلات مصر".

قلت له: لكن هناك كتابات واضحة الدلالة لمن يحسبون على فريق التوريث مثل (محمد كمال) و(عبدالمنعم سعيد)؟. فأجاب: لم أشعر من كتاباتهما أنهما يعبران عن ذلك، هما يعبران عن توجهات يؤمنان بها، رأيا أنها تصب فى مصلحة بلدهما.. وكيفية التعامل مع المستقبل. وتساءل: تنادون بالحرية وتطالبون بمنع الآخرين من الكتابة؟. ثم إن (نهضة مصر) تنشر فى نفس الوقت توجهات ورؤى متباينة.. بعضها ينتقد توجهات (كمال وعبدالمنعم).. هذه هى الليبرالية الحقيقية.

لكن هذا الشعار نفسه جلب على (نهضة مصر) الإنتقادات، فقد إرتبط الليبراليون الجُدد بالتوريث.. وبأشياء أخرى، (الألفي) نفى تماما تأييد الجريدة لتوريث "جمال مبارك أو جمال عبدالناصر. أو أي جمال".. على حد تعبيره، مستطرداً نحن دعاة تحديث لا توريث. وذكرنا بأن (عماد أديب) أصدر قبل أكثر من عشر سنوات جريدة (العالم اليوم) التي تدعو لليبرالية الاقتصادية التى يؤمن بها. مُستطرداً.. والآن أصدر جريدة تعبر عن الليبرالية السياسية، التى أيضا يؤمن بها.

الموقف مع (المستقبل الجديد) مُختلف، فرئيس تحريرها يؤكد في إفتتاحية الخميس الماضى.."الجريدة مُعبرة عن لجنة السياسات.. ولا أعرف ما الذى يزعج فى ذلك". كان (محمد أبوالحديد) يعلق علي تقرير نشرته (العربى) الأسبوع الماضى دون أن يسميها، رافضاً تصنيف البعض للجريدة وفقا لهواه.. وأن يضعها فى خانة ثم يبحث عن أسانيد لهذا التصنيف.

قبلها بيومين نفى لنا أية علاقة له بـ" اللجنة"، مؤكداً أنه والصحفيون العاملون معه لا علاقة لهم أصلاً بالحزب. واتهمنا مثل (عبدالله كمال) بـ"أنتوا اللى طلعتوا حكاية التوريث.. ده عندكم بس". سألته عن تشابه الإسم مع (جمعية جيل المستقبل).. التي يرأسها (جمال)؟. فقال: وأيه يعني ما فيه جريدة (المستقبل)، موضحاً أن ترخيص جريدته لندني ولا علاقة لها بالجمعية، وأن التشابه بينهما ينحصر فى الاهتمام بالمستقبل والإصلاح والشباب. قلت له.. هل إنحصر الشباب فى شخص (جمال)؟. فأجاب.. ده تطور طبيعي، ماهو ماسك أهم لجنة فى الحزب الحاكم، ومنها تمر كل السياسات.. المُهم يفتح طريق للشباب.. وإللي عنده حد بديل يورينا.

سألته كيف وكل شيء في إيديهم.. فلم يجب. عندما سألته عن تمويل الجريدة وعن إتهام البعض لها بأنها صدرت عن مجموعة رجال أعمال لا علاقة لهم بـ(جمال) ويتمسحون به، طلب منى سؤال رئيس مجلس الإدارة (أحمد رشدان).

حول مقر (المستقبل الجديد) بعمارات عثمان خلف الميرلاند، حراسة أمنية مشددة، وفى المداخل كاميرات مراقبة.. ففى نفس البرج مكتب لـ(جمال أو علاء)[٦]. سألت رجل الأعمال (أحمد رشدان) عن تمسحه بمجموعة السياسات، فلم يغضب.. قال:" ح انقرب له ليه؟.. جمال موش اللى بيُرزق.. كل اللى عاوزينه اننا نربط الشباب بالسلطة.. الشباب عاطل ضايع، وده بيفقده انتماؤه لبلده".

قلت له والاسم والمقر؟. قال الإسم عادي والمقر صدفة.. أملك ثلاثة أدوار بالبرج.. وصُدفة أن مكتب فلان أو علان فيه.. ثم أنا ماأعرفش إن كان له مكتب هنا أم لا؟.ثم جمال ماله؟.

اشمعنى جمال؟. أجابني: اللي نعرفه أحسن من اللي مانعرفوش، وليه نظلمه.. لأنه ابن الرئيس، ليه ما نجردوش من صفته العائلية ونحكم عليه.. هو أثبت نجاحه.

قلت له: لكن غيره واللى مانعرفوش لم يأخذ فرصته؟. فقال: موش عاوزين ضغاين بين الأحزاب. (!!)

علامات التعجب من عندنا. (رشدان) رفض امكانية "الورث"، المفرده له، خلافاً لسوريا، لأن التيارات السياسية فى مصر من وجهة نظره أقوى من (جمال).. ولن تسمح بـ"الورث".

رغم ذلك فجر (رشدان) قنبلة، لو صدقت، كدليل من وجهة نظره على صدق التوجهات الإصلاحية. قال: الرئيس لما يرجع[٧] ح يدعم كل التيارات، وح يشكل حكومة إئتلافية، وح يعين معارضين كمحافظين.. وكمان ح يستقيل من رئاسة الوطنى.. ومين غير (جمال) يقدر يمسك الوطني.

سألته دى معلومات مؤكدة؟. فقال.. بل توقعات.

وربما كانت تسريبات أو بالونات اختبار لجس النبض.. فنحن فى يوليو[٨].

٤-٧-٢٠٠٤

هوامش

(١) تواترت تقارير متابعة التغيرات الصحفية الآخيرة على أن (الشريف) كـــان يُقــاتل، دون جدوى، لإستثناء (رجب) من هذه التغيرات. لكنه ظل رئيساً لــ(مايو) حتى الآن، مع توقعات بإزاحته منها قريباً جداً.

(٢) أصبح رئيساً لمجلس إدارة دار التحرير بدلاً من (رجب).

(٣) تولى رئاسة مجلس إدارة روزاليوسف.

(٤) تولى رئاسة تحرير روز اليوسف.

(٥) أجــرى فــيما بعد الحوار المثير للجدل مع مبارك (كلمتي للتاريخ)، وتــردد أنه سيقود الحملة الإعلامية لمبارك كمرشح للرئاسة. بعدها حصل على ترخيص مصري لقناة أخبارية أرضية وأخرى فضائية.

(٦) "مكتــب" جمـــال يحـــتل الدوريـــن(١٩ / ٢٠) بـــأحد أبراج عثمان، ونشـــرت(الغـــد) أنـــه تكلـــف للتجهيز والتأمين "٨٨" مليون تحت إشراف المهندس(إسماعيل عثمان) ووزير الإسكان(إبراهيم سليمان).

(٧) كان مبارك يعالج وقتها بألمانيا.

(٨) ترددت وقتها أقاويل عن عرض قُدم من فريق (جمال) لأسماء وقوى سياسية بارزة، لدعم توريثه مقابل حزمة إصلاحات.

بعد إطاحة الشريف.. هواء القاهرة مُشبع بالإشاعات:

إنتعاش لوبي التوريث

*الفـريق "الإصـلاحي" يفرض عضلاته فى جلسة انتخاب الشورى للشريف.

*الجـريدة الـناطقة بلسان جمال: الخطوة الثانية توليته قيادة الحزب.. والفترة الماضية صقلته داخلياً وخارجياً.

تـبدو المشاجرة التى شهدتها ندوة "واقع الإعلام العربي" التى نظمتها هيئة الإذاعة البريطانية الأربعاء الماضي، خير دلالة على مـا تشـهده مصـر، الزمـيل (أنور الهوارى)[1] رئيس تحرير (المصـرى اليوم)، أحدث الإصدارات الصحفية، يدخل فى النقاش محـتداً.. عـن "الفساد المستشري.. وفقدان البلد للقدرة على إنتاج الأخبار.. و.."، ويرد عليه نقيب الصحفيين الأسبق ورئيس تحرير (المصور)..(مكرم محمد أحمد)[2] متجاوزاً، عن الجانب السياسي فـى انتقادات (الهواري)، ومركزاً عما وصفه بـ"الجانب المهني" فـي (المصـري اليوم)، مشيراً إلى سبعة أخبار بصفحتها الأولى

رآها خطأ كلها.. خاصة ما يتعلق بتولى (ممدوح البلتاجي) وزارة الإعــلام.. بينما المؤكد منذ الإقالة التمهيدية لــ(صفوت الشريف) أن (فاروق حسني) سيتولاها مؤقتاً.. وأثناء تحليله كان (الهواري) يقاطعــه محــتداً فــى نقاشه. إنسحب (مكرم)، ليوجه (الهواري) رصاصاته إلى الأستاذ (محمود المراغي) [٣]على المنصة!.

لــيس مجرد صراعٍ أجيال.. وليست مجرد لقطة فى الهواء.. كــان (مكــرم) محقــاً فــي إنــتقاده المهنــي، خاصة ما يتعلق بــــ(البلتاجــي)، ولــــ (الهوارِي) وكل الصحفيين فى مصر كل العُــذر أمــام غياب الشفافية، وتعمد النظام التعتيم لتضليل الرأى العــام.. وفــى القلــب منه الإعلام، ليمتلئ هواء القاهرة بتكهنات وإشاعات.. وأقاويل.. وأشباه الأخبار.

أثقــل مــا فــي هواء القاهرة ما حدث لأبرز أقطاب الحرس القديــم.. كانــت مفاجأة بكل المقاييس، فــ(الشريف) كان المرشح الأول لرئاســة الــوزراء.. بل وأعتبر البعض ترشيحه "إستبعاداً لفــوق". فقبل أيام من تسرب خبر إقالته تحديدا في ١٧/ ٦ كانت وكالــة أنــباء الشرق الأوسط الرسمية تنقل تصريحات نقلها عنه رئيس التحرير (محفوظ الأنصاري)[٤].. انه عرض على الرئيس صــباح أمــس تقريــراً تفصــيلياً، حول نتائج إجتماعات عقدها الأســبوعين الماضــيين مــع (عاطف عبيد) وعدد من وزرائه، لمناقشــة مــا يتعلق بتقييم السياسات التى تضمنتها أوراق مؤتمر الحزب الوطنى ٢٠٠٣، ونقلت الوكالة الرسمية.."أنه عرض على مــبارك مــا إستقر عليه رأي الحكومة والحزب بالنسبة لتعديلات قانون الملكية".

في نفس اليوم.. وفي نفس السياق صرح (الشريف) لـ(الشرق الأوسط) اللندنية .. "أنه عرض على الرئيس عدة ملفات معروضة على الإجتماع العادي لمجلس الوزراء منها تعديلات قانون الجنسية، وسُبل حل الخلاف بين القوات المسلحة والشرطة بالنسبة للقبول بمعاهد وكليات الشرطة والقوات المسلحة، وتعديل القرار لحرمان المتجنسين من الالتحاق بها". وقال (الشريف) إن الرئيس كلفه بالدعوة إلى إجتماع اليوم مع رئيس الوزراء وآخرين لمناقشة ورقة المواطنة التى وافق عليها الحزب فى المؤتمر الماضي، كدستور خاص به في تعامله مع المواطنين.. بعدها خرجت (الخميس) المُقربة من (الشريف) بخبر قصير على صفحتها الأولى، إقتصرت كلماته على إجتماع (الشريف) مع (مبارك) لثلاث ساعات ..وأن الإجتماع تعلق بالتغيير الوزارى المُنتظر.

هكذا.. تصريحات وتكليفات رسمية تنشرها الوكالة الرسمية عن مهام لـ(الشريف) تتجاوز رئيس الوزراء.. كانت الإشارات واضحة.

غير أن للإتجاه المُخالف إشاراته، التي إزدادت يوماً بعد آخر، منذ مانشيت الأهرام الشهير ١٨/ ٦.. أي اليوم التالي لتصريحات (الشريف)، وهوالمانشيت الذى صاغ تقريره (إبراهيم نافع)[٥] رئيس تحرير ومجلس إدارة المؤسسة الصحفية الأكبر، وأكد فيه أنه من المنتظر أن تغيب وجوه كثيرة عن الحكومة فى تشكيلها الجديد "خاصة الذين أمضوا فترة طويلة فى مناصبهم".. وقتها لم يتوقع أحد أن هذه الإشارة تطال (الشريف)، لكن

(روزاليوسف) فى عدد ١٩/ ٦ نشرت تقريرين ممن يدعمان فريق التوريث[٦]، عنوان أحدهما "فريق التطوير يضرب ضربته الكبرى في أكتوبر المقبل".

أعُلن قرار الإقالة أو ترشيح (الشريف) لمجلس الشورى، وقبلها بساعات روي زملاء كيف دخل (الشريف) المجلس فى مُنتهى السعادة يوم الأحد، حتى أن (عبيد).. "إتهز" على حد تعبير أحد الزملاء.

أُعلن القرار لندخل فى دوامة "ما يتردد".. أولها.. وخلافاً للبيانات الرسمية أن (الشريف) علم بالقرار عبر وسيط، وأنه ظل يحاول الإتصال بالرئيس دون جدوى حتى عصر الأحد، وأنه طلب من البعض تأجيل نشر القرار لأنه متأكد أن وصوله للرئيس سيعني إلغاء القرار. وهو ما فعله (سمير رجب). و"تردد" أن مشادة كلامية وقعت بينه وبين (جمال مبارك).. بينما المؤكد أن (جمال) كان وقتها بجوار والده. و"تردد "أن وراء الإقالة أن (الشريف) خرج من لقائه مع (مبارك).. و"علق بما لا يجب ترديده أمام مقربين إليه".. وهى واقعة مُستبعدة، سواء لعمق العلاقة بين الوزير والرئيس.. أو لحنكة (الشريف). و"تردد" أن (الشريف) اقترح إعلان التشكيل الوزارى قبل سفر الرئيس للعلاج وأن يحلف الوزراء اليمين أمامه وهو جالس على كرسيه.. الإقتراحٍ أشار إليه (سمير رجب) فى فواصله، وهو ما كان رد فعله قاسياً على البعض.. عاطفياً[٧].

أقوى "ما تردد" أن الإطاحة بـ(الشريف) هي التدشين الحقيقى لسيناريو التوريث المُجمد، وترددت تحليلات رغم نفي

(مـــبارك) الصــــريح، ورغم إتفاق المراقبين الأجانب الذين تابعوا إحتمالات الخلافة الأيام الأخيرة على تراجع فرص (جمال) بشدة.

وإذا كان كاتبان بحجم (سلامة أحمد سلامة ومحمد سيد أحمد) فـــى الأهـــرام والأهالــــي قد إلتقطا، بعد الإطاحة بصفوت، دلالة توقيـــت صـــورة جمال على (النيوزويك) مع عنوان عن مستقبل مصــــر، وتأكـــيد (ســـيد أحمد) على أنها رسالة لـــ"فريق جمال" للـــتحرك، فـــإن الكاتب المصرى المقيم فى لندن (محمد عبدالحكم ديـــاب) رصد فى (القدس العربى) ١٩/ ٦ وقائع صدام علني على صـــفحات الجـــرائد بيـــن (جمال وصفوت)، رآه مبرراً للإطاحة بوزير الإعلام القوي.

(ديـــاب) تحدث عن سر العودة القوية لـــ(جمال) إلى الضوء بعـــد غـــياب أسابيع، وعن إن عودته قوبلت بتصريحات قوية من (الشـــريف) لجـــريدة (مايو)، وهو المرشح من بقايا الحرس القديم لرئاسة الوزارة، وأن التصريحات محاولة لسحب البساط من تحت أقـــدام "الإبـــن"، بتأكـــيده أن" قرار التغيير يملكه مبارك.. لا أحد غـــيره".. يقصد أن (جمال) لا شأن له بالتغيير. يواصل (دياب).. "عـــندما نـــتابع مؤتمر جمال الصحفي الرئيس الموازي والوريث المؤجل ـــ وفقا لتعبير دياب ـــ عن إستعدادات مؤتمر الحزب في ســـبتمبر المقبل، نرى الوجه الآخر للصورة، فجمال يشدد على أن أمانــــة السياســـات هى المعنية بالسياسات العامة، ويُقلل من أهمية (مايو)، وهو ما فُسر باتجاه لإلغاء صحافة الحزب".

لا يهمـــنا ـــ الآن ـــ تقييم (عبدالحكم دياب) لـــ "الابن" ورُؤاه مـــن دعـــم الفقـــراء بصفته رجل أعمال وإبن الخبرة المصرفية

الأمريكـــية، ولا رصده لأبرز الأسماء المحيطة بسيناريو التوريث، مـــا يهمنا، هو "ما تردد" عن أن نقل (الشريف) إلى الشوري ليس ســوى مقدمة لتصعيد (جمال) أميناً للحزب، فلا يصح سياسياً أن يكـــون أمين عام الحزب الحاكم هو نفسه رئيس اللجنة التى تجيز وتـــرفض الأحـــزاب بصفته رئيسا لمجلس الشورى. وإن إطاحة (الشـــريف) مقدمـــة لتصفية باقى الحرس القديم والإتيان بـــ"فريق جمـــال" علـــى كل المستويات، وهو ما حدث فى تعيينات مجلس الشـــوري، الـــتى شـــملت ستة أسماء، صريحة فى انتمائها لفريق التوريـــث، أبـــرزها (محمد كمال)[٨] الذى سافر لواشنطن بصحبة (أسامة الغزالى حرب) ــ تم التجديد له بمجلس الشورى ــ عقب مؤتمـــر الإسكندرية للإصلاح لمناقشة وثيقته مع دوائر أمريكية. (كمـــال) جلـــس على منصة مجلس الشورى في جلسته الافتتاحية بصفته أحد أصغر عضوين بالمجلس.

صـــيغة وشـــكل جلـــوس (محمد كمال) على المنصة يشيان بتركيـــبة فريقه.. كان أقل ما يوصف به أنه "خفيف".. تعليقاته ــ الـــتى حذفـــت فـــيما بعـــد ــ إخترقـــت أسماع الناس عبر البث التليفزيوني علي الهواء.. خبط على يد مدير الجلسة الذى هو أكبر الأعضـــاء سناً، وسأل: "هو ده من الحزب".. يقصد ناجي الشهابي رئـــيس حـــزب (الجيل). وبعد دقائق رأيناه يضحك ساخراً، وهو مـــازال على المنصة ويشير على شخص ما.. وتصادف وقتها أن الكامـــيرا كانـــت تتابع حلف وزير السياحة (ممدوح البلتاجي) ــ متأففا ــ ليمين العضوية. التأفف كان واضحاً أيضا على (صفوت

الشـــريف) خاصة بعد مفاجأة ترشيح (د. أسامة شلتوت)[٩] لنفسه ضده على رئاسة المجلس.

صـــيغة وشـــكل جلسة(كمال) التى تستعيد صورة وأسلوب (كمـــال الشـــاذلي)، إتســـقت مع هجمة واضحة وفجة الأسبوعين الماضـــيين لفـــريق الوريث، فأحد أبرز مُنظريه (عبدالمنعم سعيد) طالب ضمن التغييرات المتوقعة، بأن تتولى المجموعة الجديدة في الحـــزب "تطبيق برنامجها لبيع كل ما تملكه الدولة من مؤسسات ومصـــانع فى مدة خمس سنوات.. ولا تزيد على عشر، وبتصفية الجهـــاز الإدارى للدولة، وأنه لابد من الإعلان عن نظام رأسمالى ســـافر.. وعلى الجميع الانصياع لذلك".. "الإنصياع" تعبير حرفي لأبرز مُنظري الليبراليين الجدد.

شـــكل جلســـة (كمـــال) التي تكشف إنتعاش فريق التوريث، طبقتها بصورة سافرة جريدة (المستقبل) الناطقة شبه الرسمية بإسم "الفـــريق" فـــي عددها الرابع بمانشيت أكثر فجاجة.. "بعد الخطوة الأولى"..- ضمنياً الإطاحة بصفوت أقوى رجال الحرس القديم- . يقـــول المانشـــيت.. "الخطـــوة الثانية في خطة التطوير ـــ جمال مـــبارك يقـــود الوطـــنى فى المرحلة المقبلة". وتحته صورة على اليمين بالألوان لـــ(مبارك) تقابلها على اليسار صورة لـــ(جمال) بـــنفس الحجم. (جمال) ظهر فى "بروفيل مُخدوم"، كما أعتقد من إخـــتاروا الصـــورة. علـــى وجهـــه نظارة أمريكانى "لاكلابه".. والطريف ـــ بالطبع صدفة ـــ أن زجاجتى النظارة انعكست فيهما سجاجيد التشريفة الحمراء.

تفاصيل المانشيت تقول <<مصادر (المستقبل) رشحت جمال مبارك أمين السياسات، رئيس المجلس الأعلى للسياسات وعضو هيئة مكتب الأمانة العامة للحزب الوطني لقيادة الحزب في المرحلة المقبلة، وتحمل مسئولية عملية الإصلاح السياسي والاقتصادي بالتعاون مع الحكومة، وفقا لما يتخذه المؤتمر السنوي المقبل للحزب من قرارات، وما يقره من رؤى وسياسات. وأن تولي جمال قيادة الحزب يمثل تطوراً طبيعياً فى مسار العملية السياسية الحزبية التى بدأها الحزب بزعامة مبارك في المؤتمر العام سبتمبر ٢٠٠٢، والذي طرح فيه الحزب شعار فكر جديد تعبيراً عن الفكر الإصلاحي، الذى يتزعمه جمال ممثلا لجيل كامل جديد فتح له الطريق للمشاركة فى القيادة وتحمل المسئولية.

وأضافت المصادر أن طرح هذا الفكر الجديد، وإعادة هيكلة الحزب واستحداث أمانة السياسات وتولى جمال قيادتها كان المرحلة الأولى لأن تكون كل الأجيال ممثلة فى القيادة، وأكدت المصادر أن الفترة التي مرت منذ مؤتمر سبتمبر ٢٠٠٣، كانت كافية لإظهار القدرات السياسية القيادية لجمال، وإنخراطه بعمق في الحياة السياسية والحزبية الداخلية، وفي الشئون الخارجية، وإلمامه بكل تفاصيل العمل الوطني بما ساهم فى صقل خبراته وتأهيله للتقدم نحو موقع أعلى وأكثر فعالية.

وقالت المصادر: إن الشرعية المتاحة أمام جمال هي الشرعية السياسية، وأن قيادته للحزب توفر له هذه الشرعية بشقيها، الجماهيري الذى يمثله الحزب في الشارع المصري والنيابي الذى يوفره الحزب بإعتباره صاحب الأغلبية فى مجلس

الشـــعب. وأن هـــذه الشرعية ليست سابقة التجهيز لشخص جمال وإنمـــا هـــي لجـــيل كـــامل ظل لوقت طويل محروماً من فرص المشاركة في العمل الوطني وصنع القرار السياسي، وحان الوقت لكـــي يحصل على حقه. وتوقعت المصادر أن ينعكس هذا الاتجاه على تشكيل الحكومة الجديدة بصورة واضحة، وأن يكون أكثر من نصـــف الحقائـــب الوزاريـــة لرموز تيار الإصلاح ومؤيديه حتى يـــتحقق التجانس بين العمل السياسي والعمل التنفيذي. وأن مؤتمر الحـــزب فـــي ســـبتمبر المقبل سوف يكون تدشيناً للقيادة الجديدة وبرنامجها الإصلاحي..>>.

إنتهى أول بيان لفريق التوريث، الذى "تردد" أنه عرض على قوى سياسية فاعلة مع قرب موعد تقديم برنامجه الإصلاحي يوليو المقـــبل، كصـــيغة مـــتكاملة من وجهة نظره.. أن يأتي التوريث بحـــزمة إصـــلاحات مقـــابل الموافقة عليه، تفاصيل الصفقة غير معروفة، وإن كان منها إلغاء شرط التميز بين الأحزاب للترخيص بهـــا، وتخفـــيف قيود إصدار الصحف والقنوات الفضائية وإلغاء قـــانون الطوارئ.. وإختيار الرئيس بين أكثر من مرشح مع توقع من فريق التوريث "أن جمال" يمكنه الفوز في إنتخابات "محكومة" بنسبة تقترب من نسب الأغلبية فى الديمقراطيات الغربية. الغريب أن (محمـــد حبيـــب) النائب الأول لمرشد الإخوان قال لـــ(صوت أمريكا) قبل أيام.."إنه لا يهم من يأتي.. جمال أو غيره.. المهم أن يأتي من بين أكثر من مرشح وبحزمة إصلاحات كاملة".

ومـــن الطبيعـــي أن تحـــتل الإطاحـــة بـــ(صفوت) وتصعيد (جمـــال) وفريقه المساحة الأكبر من فضاء "ما تردد".. لكن يظل

على الهامش عدد منها تخص أسماء أخرى. منها أن (كمال الشاذلي) وُعد بالاستمرار في منصبه فأعلن ذلك للمحيطين به.. وأقيمت حفلة.. ذُبح فيها ما ذُبح، لكن (الشاذلي) عاد لقلقه بعد الإطاحة بـ(الشريف)، خاصة بعد "ما تردد" عن إلقاء القبض على (النحاس)[10].. القائم بـ"الدرتي ورك"، وأنه أدلى باعترافات مكتوبة. مع ذلك "تردد "أن (الشاذلي)[11] وُعد برئاسة مجلس الشعب.. في نوفمبر المقبل.

وخلافاً لتأكيدات (الشريف) بأنه آخر وزير أصلي ـ لا مؤقت ـ للإعلام تتردد أسماء عديدة لخلافته، منها (ممدوح البلتاجي)[12] ومنها المرشح الدائم للإعلام (مصطفى الفقي)،ومنها (حسن حامد).

مُبررات إختيار وزير إعلام خلفاً لـ(الشريف).. أخبثها تفنيد وعده بأنه الوزيرالأخير للإعلام، وأكثرها واقعية أن تحويل الإعلام إلى هيئة يستدعي تعديلات تشريعية تستغرق وقتاً.

أكثر من إسم "تردد" للإعلام.. وضعفها لرئاسة الوزارة، من (عبيد) نفسه إلى (جودت الملط) و(مدحت حسانين) و(فاروق العقدة) و(زكريا عزمي).. و(د. إسماعيل سراج الدين)، بل إن إحدى مشاركات موقع هيئة الإذاعة البريطانية عن مستقبل مصر رشحت (زكى أبو عامر).

آخر "ما تردد" أنَ أظرف مُغلقة تُركت.. على أن تفتح فى توقيتات محددة سلفاً، أولها الإطاحة بـ(الشريف).. وليس آخرها تسمية نائب من قيادات مؤسسة وطنية تم تصعيدها مؤخرا.

٢٠٠٤-٧-٢٧

هوامش

(١) إســتقال مــن رئاسة تحرير الجريدة أول يناير الماضي بعد أزمة مع إدارتها تتعلق بإعلان خمور.

(٢) حل محله في رئاسة تحرير المصور (عبدالقادر شهيب).

(٣) توفى إلى رحمة الله بتاريخ ١٢-١٠-٢٠٠٤ أثر حادث سير أليم.

(٤) حل محله في رئاسة الوكالة(عبدالله حسن).

(٥) حــل محلــه فــي رئاســة الــتحرير (أسامة سرايا) ورئاسة مجلس الإدارة(صلاح الغمري).

(٦) كرم جبر و عبدالله كمال.

(٧) تردد أن الإقتراح إستفز حرم الرئيس، لأنه يظهره بصورة "الضعيف".

(٨) مــن تلامذة علي الدين هلال، الراعي السياسي الأول لجمال مبارك. يوصــف (كمــال) بأنــه الســكرتير الشخصي لجمال. من مهامه متابعة إصــدارات تدعم فريق التوريث. المتحدث الرسمي بإسم لجنة السياسات. مــدرس علــوم سياســية، نائب مدير مركز الدراسات الأمريكية بجامعة القاهــرة. كــان مرشــحاً اثــناء التجهــيز للطــبع لرئاسة إتحاد الإذاعة والتليفزيون.

(٩) رئيس حزب التكافل.

(١٠) مازال ملفه معلقاً.. ولم يُحسم!!.

(١١) مــن المنــتظر أن يذهــب المنصب إلى زكريا عزمي رئيس ديوان رئيس الجمهورية.

(١٢) تولـــى وزارة الإعلام قبل أن يحيله "الفكر الجديد" خلال أسابيع إلى وزارة الشباب والرياضة.

به حكم الأب..

وعبره صعد الإبن

أسسه (أحمد زكي) بجزة سنان:

السينما تتهم الحزب الوطني ببيع البلد حته حته

#(شـــجيع السيما).. عضو المجلس الرئاسي والأمانة العامة يقود سبعة من الحرامية الكبار.

#(أيـــام السادات).. سخرية من الدستور.. والولادة من رحم الإنفتاح. الهدف: الغاء دعم الفقراء.

#(زوجـــة رجــل مهــم).. يوثق تسليم السلطة في الحزب والرئاسة.

#(معالي الوزير يعترف): شوفت أسفل مني.

#مسؤل كبير لوحيد حامد:عندنا خمسة من العينة دي.

#(موعــد مع الرئيس): المكتب السياسي يضغط لتأييد هدم حي شعبي وإقامة مشروع استهلاكي بدلا منه.

#(الراقصـــة والسياسي): بيسرق أحلام الناس زي ما سرق عرق جسمي.

#(المنســـي).. مسئول الوطني: للأسف مراتي ما حيليتشي في عين المسؤل الكبير.

#(ضـد الحكومـة): نظـام كـامل.. السـوس نخـر البلد ودمرمستقبلنا.
#(طـيور الظلام): اللعب مع تجار المخدرات والإرهابيين.. وسيادة قانون "الهبش".
#(الوصول للقمة): صراع المافيا تحت القبة.

لأنهـا المـرآة الصادقة لمجتمعها أدانت السينما في أحكامها المتتابعة الحزب الحاكم، فاضحةً ممارساته ودعمه لسيطرة الفساد على كل مستوياته.. وعلى مقدرات البلد .

فهـو حسـب بشـير الديك.. "فكرة الحزب أصلا غائبة عن بنيانه"، و"هم" لا يحتملون مجرد مناقشة تداول السلطة و لامحاسبة أحـد لهـم. في ظله لم نستطع أن نؤمن وطنا صحيا لأبنائنا، ولم يكـن أمـام (مصطفى خلف) في (ضد الحكومة) إلا أن يستغيث بالقضـاء باكـياً.."لـدي مسـتقبل هنا أُريد أن أحميه".."أغيثونا ..أغيثونا". لكن"هم" يصرون على إستمرار الفساد.. يعضون على أسـنانهم بمسـتوياتهم المخـتلفة لحمايته، مؤكدين لنا-بدون قصد طبعا- إن الإصلاح يجب أن يُنتزع.

فـي فيلم (أيام السادات) إنتزع "عراب" الحزب الراحل (أحمد بهـاء الديـن) من عمله بالكويت الى "خلوته" مباشرةً ليلومه على نحته تعبير "الإنفتاح السداح مداح"، يتجاهل حق(بهاء) في توضيح رؤيـته، مضـيفاً إنه لم يستدعه لذلك.. بل لإخباره بقرار تاريخي سـيعلنه فـي إفتـتاح برلمان ١٩٧٦، وبجزة سنان كاريكاتورية لـ(السادات/أحمد زكي) يقول"قررت أسمح بتكوين أحزاب".

كـــنقطة نظـــام دستورية ينبهه (بهاء) للدستور الذي لا يسمح بذلـــك، فيسخر من فكرة الشرعية الدستورية قائلاً "أنا اللي زي يا أحمـــد همـــا اللـــي بيعملوا الدساتير"، مُستطرداً انه ح ينشأ ثلاثة أحزاب .. " اليسار (ليكو) عشان الإشتراكيين يتكلموا على راحتهم من غير إعتقال". واليمين. والوسط..- يوضح العراب- "و ده ح أرأســـه بنفســـي عشان الناس تتشجع لدخوله". وفي المشهد التالي مباشـــرة يـــتحدث لقياداته الحكومية والحزبية عن ضرورة إلغاء الدعم.

مشهدان فقط من فيلم حاول تمجيد "العراب" يفضحان "الرحم" الـــذي خـــرج منه (منبر الوسط / حزب مصر).. الإنفتاح السداح مـــداح، و"العـــراب" الســـاخر مـــن فكرة إحترام الدستور.. سند شـــرعيته، والدعـــم.. السند الوحيد لاستمرار رعاياه أحياء، وكان إلغائـــه القشـــة التـــي فجرت انتفاضة ١٨-١٩ يناير، التي يُصر فـــي"أيامه" على انها"إنتفاضة حرامية"، وبهذة الحجة "قرر" تأسيس حزب جديد، هذة المرة سيرأسه - فعلاً - بنفسه.. ليتحول القطيع إليه، وكأن الإنتفاضة كانت ضد الحزب القديم لا ضده.

لكـــن(زوجة رجل مهم) المُنشغل بالتركيبة النفسية السلطوية لرمـــز مـــن رمـــوز قهر"الرعايا"، وفي لقطات "تسجيلية" يرصد لقـــاءات "العـــراب" عقب "إنتفاضة يناير" بـــ(مبارك) وبـــ(ممدوح ســـالم).. الأخير هو الرئيس الإسمي لحزب مصر، وكأن (رؤوف توفـــيق ومحمد خان) يوثقان إنتقال السلطة..في الحزب-من مصر للوطني-، والرئاسة معها.

غـير (الحـزن الوطني) يُندر أن تهتم السينما بالأحزاب، قبل الـثورة تعرض الفيلم الوحيد الذي إقترب منها (من فات قديمه)- ١٩٤٢- لمذبحة رقابية من الوفد الذي عاد وقتها للحكم في حادث فـبراير الشـهير، حذفـوا ٦٠١% منه ليتحول الى لقطات متفرقة، وبتحريض من صحافة الوفد حطم الجمهور صالة العرض، ومعها مستقبل المخرج (فريد الجندي)[١]. فالفيلم الذي أنتجه (يحي) نجل (لطفـي السـيد) كـان ينـتقد الزعيم الوفدي (مصطفى النحاس) وحـرمه.. والمحسوبية والرشوة وصفقات توزيع المناصب على أقارب وحاشية قادة الحزب.

بعد الثورة نلتقط إشارات لفساد الأحزاب وتحالفها مع القصر والاسـتعمار، وصلت ذروتها في (ناصر ٥٦)[٢] حين تجمعت بقايا الوفد بـ"سراي الباشا" للإتفاق على بيان يطالب (ناصر) بمغادرة الحكـم، وعلـى تشـكيل وزاري بديـل للـثورة بالتنسـيق مع "السفارةالبريطانية".. بينما العدوان الثلاثي يحرق بقنابله مدن القناة وسيناء.

إشـارات أكثر طالت الأحزاب الحالية، في (خلطبيطة) مثلاً، يـتهمها (مدحـت السـباعي) -كلها- بتشويه الواقع، وفي (ضد الحكومـة) يـرفض المحامي (مصطفى خلف) الدعم المادي من حـزب مُعـارض والمعنوي من جريدته. و في (الهروب للقمة) لـ(عادل الأعصر) يتحول اللص (سيد الهوا) الى (وجدي الزيني) مُرشـح أحد أحزاب المعارضة وأحد أجنحة مافيا السلاح لمجلس الشـعب، وبعد فوزه يصبح مخلب قط تحت القبة للصراع مع قائد جـناح مافيا منافس.. من قادة الحزب الوطني، ومن الطبيعي أن

تنتهــي إستجوابات "المخلب" لقائد "الجناح الوطني" بشكر المجلس بأغلبيــته "الوطنــية" لحــوت تجــارة السلاح الأكبر، حتى يُفاجأ (الزينــي) الجمــيع في مؤتمر حزبه المعارض بخطاب تطهري يفضح فيه تاريخه و فساد حزبه.. والفساد الأكبر بالحزب الحاكم.

ومن الطبيعي أن يكون لــ(الوطني) نصيب الأسد في إهتمام السينما بالأحزاب، لإن"رموزه وقياداته تسيطر على كل شئ.. من الميكروباص لشئون الفكر" كما يقول (بشير الديك)، و لإن "رائحة عفنه تطارد الجميع "على حد تعبير (وحيد حامد).

و مــع الترميز لإغتيال"عرابه" في (الغول)، يرصد (شوادر) رحلة صعود أحد رموزه-أحمد بدير- من الإتحاد الإشتراكي الى منــبر الوســط ثــم حزب مصر ثم (الوطني).. وإرتباط الصعود بفساده الإخلاقي والسياسي.

نفــس الرحلة نجد ذروتها في (الراقصة والسياسي) لــ(وحيد حــامد وســمير سيف)، فالراقصة-نبيلة عبيد- تتسبب في مأزق للحــزب، بــتهديدها بكتابة مذكراتها المليئة بفضائح الحزب، منها "قــوادة قيادة سياسية لها، تراه في التليفزيون يتحدث عن إنشغاله بهمــوم الغلابــة، فتتذكر كيف "لهف "عشرين ألف جنيه.. "عرق جســمها" فــي أحدى عمليات "قوادته"، وعندما تقرر أن تلجأ اليه لــتجاوز رفــض الترخــيص لها بانشاء ملجأ أيتام لأنها راقصة، يــتهرب.. فــتهدد بكــتابة مذكراتها، و تلتهب خطوط التليفونات بتساؤلات قادة الحزب والحكومة.. "أنا إسمي موجود". وكأن الفيلم يقــارن بين مفهوم الشرف لدى الفريقين.. الراقصة/الداعرة سابقا

وسياســي الحــزب، الذي وفقاً للداعرة / الراقصة "بيسرق أحلام الناس زي ما سرق عرق جسدها".

ودائمــا هــناك إشــارات بعشرات الأفلام لفساد (الوطني).. ولأجواء تحالفاته مع رجال الإنفتاح وناهبي القروض ومُستوردي الأغذيــة الفاســدة. (وحيد حامد) لا ينسى هذه الإشارات في كل أفلامه. من (المنسي) نلتقط نماذج لتعليقاتهم على بعضهم البعض: "الفلوس هي كل شئ عندنا".. "عندهم قدرة ع بيع أي شئ لتحقيق صفقاتهم". وحينما يطلب أحدهم من سكرتيرته أن "تتقرب" من أحد الوزراء الذين يذهبون ولا يعودون"، ترد عليه "ما تقدم له مراتك". يُجيــبها بحســرة "للأســف ما حيليتشي في عينه"، و مع تصاعد الأحــداث لا يوقــف "تجبر" تحالف رجال الأعمال و الحزب إلا إستيقاظ الناس / الشعب من نومه.

الوزراء الذين يذهبون و لا يعودون يكشف (وحيد حامد) في (معالــي الوزيــر) سُبل إختيارهم من بين قادة الحزب، "وزيرهم" أتى بالصدفة ليصدمنا بفساده الذي لا يخجل من ترديده أمام مدير مكتــبه.. "عمــرك شوفت واحد بيكتب تقارير في مراته.. شوفت أســفل من كده". ثم يصف كيف "مص" ملايين الجنيهات من دماء الشــعب، لكنه بمجرد أن يجلس بين أقرانه في الحزب والحكومة يــتحول "١٨٠" درجــة، مُتباهــياً بإخلاصه و وطنيته. الطريف والمُوجــع إن مســؤل كبير إتصل بــ(وحيد حامد) عقب مشاهدته للفــيلم لــــ"يؤكد" له إن خمسة وزراء "على الأقل" يتشابهون مع بطل (معالى الوزير).

(وحيد) كان رحيما بالحزب - نسبياً - في (النوم في العسل)، فقط يأد الحزب المناقشة العلنية لحالة العجز الجنسي- بدلالاتها - التـــي تــأكل الشعب، بمن فيهم ممثل إحدى دوائر الصعيد (أحمد عقـــل)، الـــذي يتصل بالصحفية (شيرين أبوالنصر) ليحصل منها على معلومات عن "الوبا" ليناقشه في المجلس، وعندما تُحذره من ضـــغوط الحـــزب المُتوقعة.. يُجيبها "ماليش دعوة بالحزب.. لو الوبا وصل الصعيد، الصعايدة ح يرموا نفسهم في النيل ويسدوه". لكـــنه سرعان ما يوافق على إغلاق باب المناقشة مُتناسياً خطورة "الوبا" على تركيبة الصعيد.

ضربةِ (وحيد) الكبرى جاءت في (طيور الظلام) مع (شريف عـــرفه)، نُشـــاهد طـــرق إختيار عناصر الحزب الفاعلة وطبخة الإنـــتخابات، وتســـخير الشرطة لخدمة الحزب.. ولوبالتحالف مع تجـــار المخـــدرات.. ثـــم مـــع "الإرهابيين". نشاهد فساد الوزير و"الطـــبقة كلهـــا".. سياســـيين ورجال أعمال. والأهم إجتماع قادة الحـــزب.. و"الهـــبش"-التعبير للفيلم- وإتهامات الفساد فيما بينهم. والـــتحذير مـــن"الواد ده اللي خطر علينا كلنا".. صاحب التحذير ممـــثل قصـــير القامـــة لا تصل قدميه للأرض.. إنه نفس الوزير فـــي(الإرهـــاب و الكـــباب)، وكـــأن (وحـــيد) في الفيلمين يُصر على"أنهم" غير جديرين بمقاعدهم.. حتى من الناحية الشكلية.

قـــبل(طـــيور الظـــلام) إتهم (بشير الديك) والراحل (عاطف الطيـــب) فـــي (ضـــد الحكومة) الحزب وحكومته بتدمير مُستقبل الوطـــن وتحويله لـــ "بلد نخره السوس، بنيانه يُوشك أن يتداعى" . فالطبيـــب الشـــهير (د.إبراهيم) الذي يُربي إبن البطل - مصطفى

خلــف – وينســبه لنفســه عضـــو قيادي بالحزب.. مُتمرس في الجــراحات غير الإخلاقية، والأعلى منه حزبياً (د.عبدالنور) استاذ قـــانون، ســخر علمـــه لخدمـــة السلطة.. يصف نفسه بالمحامي الشخصـــي لرئيس الوزراء و معظم مجلسه وقيادات الحزب، ولا يـــتورع عن شتيمة (مصطفى خلف)– المفصول من النيابة بتهمة مُلفقـــة – بالمســـجد و تهديده بتاريخه القذر، وعندما يستدعي أحد محامـــي مافـــيا التعويضـــات يُذكـــره بصمت الحكومة عليهم .. ويطالـــبه، لا بوقـــف نهب تعويضات الغلابة، لكن بالضغط على (خلـــف) لسحب دعواه بمحاسبة "نظام كامل" بوصفهم "المجرمين الحقيقيين" في حادثة أتوبيس التلاميذ.

فـــي (ضـــد الحكومة) نتعرف على أساليب الحزب / النظام للســـيطرة علـــى الرعايا، التعذيب.. تهديد الطبيب الشهير لزوجته بـــالطلاق لأن موقفه حرج جدا في الحزب.. و"الحكومة و الحزب موش ح يسمحوا له إنه يكسبها".. يقصد طليقها (مصطفى خلف). تـــرزي القوانين/إستاذ القانون/محامي القيادات يتصرف بعنجهية.. فلديـــه ملفـــات الجمـــيع يستخرجها متى شاء، لكنه يتصبب عرقاً ويســـتنجد صـــارخاً بقـــيادات حزبية أعلى لوقف إتجاه المحكمة لإستدعاء الوزراء لإستجوابهم.

(شـــجيع الســـينما) إخراج (علي رجب)، يضيف بعداً جديداً لفضـــح (الوطنـــي). فـــ(الغرباوي) يجمع بين عضوية المجلس الرئاسي المصري – الأمريكي[٣] والأمانة العامة للحزب، وفضلاً عن رئاسته لجمعية إستثمارية.. و"بيلعب إسكواش"[٤]. وهو حسب بطل الفيلم النجم السينمائي الأشهر يقود سبعة من الحرامية الكبار

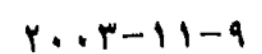
و"يبيــيعوا البلد حتة حتة". وعندما يجمع ضابط الشرطة (عصام) وثائق فساده و صور لقاءاته مع "الكبار"، يفصل من عمله ويُصبح مُــتهماً ومُطـــارداً كسفاح، وتصدر تعليمات "من فوق" لمدير أمن الجــيزة- هكــذا حـــدده الفيلم - بإستبعاد (خالد الشرقاوي).. أكفأ ضـــباطه من متابعة القضية. و(الغرباوي) يبدو من حوار ضباط الشرطة شخصية حزبية مرموقة، لا يرى حصانة لأحد من بطشه حـــتى لـــو كان معبود الجماهير، يصرخ في رجاله"ممثل.. موش ممثل.. إتخلصوا منهم كلهم". وفعلاً-وسط حشد أمني- تتم تصفية (عصام) قبل أن تصل مستندات الإدانة لـــ(الشرقاوي).

"نظام كامل" وهُم"المجرمين الحقيقيين" يُشدد (ضد الحكومة).. وتؤكـــد أفـــلام (وحيد)، لكن (موعد مع الرئيس)لـــ(لمخرج محمد راضـــي) ينفرد بتركيبة "أبيض و إسود".. رجال أعمال يحصلون بطـــرق ملـــتوية على إذن قضائي بهدم حي شعبي لبناء مشروع إســـتهلاكي بدلاً منه، بدعم من عضوين بمجلس الشعب (وطني)، وتتصـــدى لهـــم عضوة ثالثة منه-إلهام شاهين-، فيمارس تحالف الفســـاد ضـــد زميلـــته بالحـــزب والمجلس كل أساليب الإغراء والوعـــيد.. مـــنها خطـــف إبنـــتها.. والضغط عليها عبر المكتب السياسي للحزب. لكن رئيس المجلس-رفعت المحجوب وفقا لأداء سعد أردش- يقف بجانبها، و لإن الحزب بدون بناء حقيقي لا يعلم الرئيس بالمشكلة إلا صدفة حينما شاهدها بالتليفزيون، يحدد ميعاداً للقائهـــا.. مـــع ذلـــك لا يرتدع تحالف الفساد و تستمر محاولات تصـــفيتها أثـــناء توجههـــا للقـــاء (مبارك).. تنجو وتلتقيه فتنتهي المشكلة.

تركيبة أبيض وإسود مقابل صورة سوداء في باقي الأفلام، يُجيبنا (وحيد).. "موش جايب حاجة من عندي، ده إللي بيحصل على الساحة.. من مجلس الشعب لأصغر حتة بالبلد"، يؤكد "مافيش نموذج جيد"، ويستطرد"أنا مثل أي فنان حلمه الكبير إنه يعيش في مجتمع مثالي.. لكن ريحة العفن بتطارد الناس".. "لازم نخليهم عبرة لردع غيرهم.. الحزب الحاكم زي القدر.. نصيبنا ولازم نعمل على تنظيفه".. "يجب التخلص منهم في أقرب وقت".. " ومع ذلك لو الحزب فيه إيجابيات ح تلاقيني معاها.. لكنني لن أشكر واحد لإنه ما سرقشي". (بشير الديك) إتفق معه في صدق الرؤية السوداء – الواقعية .. "ح نجيب لهم نماذج بيضة منين؟". وأكتفى (علي رجب) بالتساؤل:"شوف قوى الفساد واصلة لفين؟".

"الأبيض" ربما جاء في (موعد مع الرئيس) من تخوفات رقابية، لكن (وحيد وبشير) نفيا أي تدخل رقابي، بينما يعتقد (علي رجب).. "إنهم ما خدوش بالهم من اللقطات دي.. بأعتبار إن شجيع السيما فيلم تافه كما يعتقد البعض"، يضيف : كنت حريصاً على ألا أُسلط الأضواء عليها لتمر.. ومرت.

والثلاثة لا يتوقعون أفقاً جديداً للحزب مع شعارات الإصلاح والحوار والمواطنة، لتتغير معه رؤيتهم للحزب في أفلام قادمة. سألتهم عن نماذج من (الوطني) تجذبهم دراميا فأتفق (وحيد وبشير) على"شخصية فجة يبدو كالقبضاي"[٥].. في حين رأى (علي) إنهم "زي الدود خارجين من زلعة واحدة".


٢٠٠٣-١١-٩

هوامش

(١) أخرج بعد(من فات قديمه) فيلما تسجيلياً وآخر روائياً.. ثم توقف.

(٢) سيناريو محفوظ عبدالرحمن وإخراج محمد فاضل.

(٣) كـــان جمال مبارك عضوا ثم متحدثا رسمياُ بإسم المجلس الذي يضم رجال أعمال من البلدين تحت رئاسة مبارك ونائب الرئيس الأمريكي.

(٤) الرياضة المُفضلة لمبارك الاب قبل إعتلال صحته.

(٥) بالطبع يقصدان كمال الشاذلي.

ضد التيار

الأغلبية مُؤيدة وقلة رافضة أو يائسة

الـ (بي بي سي) تفتح ملف تنحي مبارك

مع تصعيد دعوات التغيير، كثفت وسائل الإعلام الدولية متابعتها لـ"المخاض" الذي تعيشه مصر.

هيئة الإذاعة البريطانية بثقلها الإعلامي والتاريخي أقدمت على خطوة فريدة بفتح ملف مطالبة (مبارك) بالتنحي، داعية زوار موقعها-الأفضل في العالم حسب أهرام الأربعاء الماضي - بالتعليق على بيان حركة (كفايه) بتوقيعاته التي تجاوزت ٦٠٠ توقيع لشخصيات مصرية عامة، وأنهالت الأراء التي توقفت مع تجميد "الدعوة للمشاركة"بالموقع قبل العيد http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/talking_point/newsid_٣٩٥٢٠٠٠/٣٩٥٢٨٦٥.stm

مجرد طرح الفكرة لقي إعتراضاً من مصريين شاركا في الإستطلاع، برر(اسلام عمر) رفضه بـ"بلادنا.. ولا يحق لأحد سوانا أن يقرر لها، الموضوع ليس للنقاش". مُدافعاً عن (مبارك) الذي نجح "بسياسته الحكيمة أن يؤخر قدر المستطاع إندلاع الحروب بالشرق الأوسط"، وأيده (جرجس عبد المسيح - شبرا) مطالباً ألـ"بي بي سي" والمشاركين برفع أيديهم عن مصر

"الإستقرار والآمان"، لإن "مبارك جدد البنية الأساسية ووفر الأمن وله نظرة مستقبلية وحكيم بتصرفاته، وليس على الساحة أفضل منه".

(إسلام و جرجس)كانا بين قلة دافعت عن إستمرار (مبارك) وعن إنجازاته، (شريف فاروق- القاهرة) تساءل "لماذا يتنحى وهو القادر الوحيد علي إدارة البلاد ؟ أنا ضد توريث السلطة، وأعلن الرئيس ذلك مراراً، كما أنني ضد ترشيح أكثر من شخص للرئاسة، فنحن دولة نامية تعاني من أمية سياسية، وسنفتح الطريق أمام الرأسماليين للتحكم في ترشيح الرئيس"، ووصل تأييد (إبراهيم الفار- دمياط) للتحذير من ان "التنحي كارثة على الشعب".

المؤيدون غضبوا من تحذيرات لمشاركين عرب لـ"الديناصورات" العرب من نفس مصير صدام، منهم (حسين علي الموسوي -بغداد)، ومواطنه (محمد) الذي تمنى لمصر تغييراً بدون حروب. لكن العرب كما (أبو أحمد الموسوي- السعودية) دافعوا عن مشاركتهم بـ"لا أعتقد أن بقاء مبارك شأن داخلي "، ورأي (عماد حسن
الطاهر-الخرطوم) أن "هذا المطلب ليس مقصورا على مصر"، واتفق معه (سالم - الكويت) لان "التغيير في مصر- إن حصل - سينتقل لباقي العرب"، وأيضا (محمد هشام - المنصورة) الذي قال "لو فعلها، سيخلده التاريخ العرَبي، فعدوى الديمقراطية ستنتقل إلى كل العرب".

الإنجازات التى تحدث عنها المؤيدون قُوبلت بنفي أغلبية ساحقة من المشاركين، وطالبتهم(نهى عبدالحميد جمعة) بتحديدها،

فهـــي مصـــرية مثلهم.. وُلدت وعاشت في مصر ولا تجد إنجازاً يذكر، مضيفة بسخرية "إلا إذا كانت الكباري والأنفاق والتليفونات إنجـــازات"، في المقابل..كانت مبررات الداعين للتنحي لا تحصى مـــنها حلم (عودة أبو عواد - سيناء) بسماع "الرئيس السابق" بدلاً مـــن "الراحل"،وتأكيد (حسين كمال - القاهرة).. "لابد من التغيير والإنـــتخاب المباشر والمنافسة على الحكم"و" يكفى إننا محكومون بفكر ونظام مؤبد ٢٣ سنة".

فكـــرة "التأبـــيد" رفعهـــا كثيرون، (خالد و محمد- مصر).. "التغيـــير تأخـــر كثـــيرا(..) حالـــة إحباط يعانيها الشعب في ظل حكومـــات مـــبارك المتعاقـــبة"، حتي انه "ما بقتش فارقة عنده .. وتطـــرق لمواضيع كانت تعتبر خطاً أحمر" ،(محمد) حذر من إن الوســـائل الســـلمية حـــال فشلها "قد تتبعها وسائل أخرى لا يحمد عقباها".

وعلى حد تعبير(محمد علي - القاهرة) فأن"كل مصري يتمنى أن يصحو من نومه ليجد بلداً ديموقراطياً حقيقة لا بالشعارات ولا بتســـويف للآمـــال الـــزائفة فـــي التغيير تحت مسميات مكشوفة مثل(الحزب الوطني والفكر الجديد).

(محمـــد عفيفـــي ابراهـــيم- مقيم بالدوحة) مهد لرأيه بانه"لا خـــلاف على أنه بذل كل مجهود لصالح مصر" لكن (عفيفي) مع ذلك طالبه بالتنحي لأن "مصريون كثيرون يمكنهم إحداث تغيرات سياســـية واقتصـــادية بحاجة ماسة إليها الآن".. "خاصة مع زيادة الضـــغوط الاقتصـــادية على كاهل المصريين الذين يعيشون على أمـــل التغيـــير أو وعوده".. مُحذراً من انه "بدون هذا الأمل يكفر

المصري بمصريته". نفس الرأي تقريباً طرحه مواطنه (محمد سيد عبــيد) لأن "التغيــير مطلوب دائماً حتى يكون هناك سياسة وفكر جديــدان"، مُتمنياً أن نشهد إنتخابات مثل أمريكا لــ "يختار الشعب من يحكمه لأول مرة ".

(ريــم – طــنطا) تبســط القضية قائلة "عندما يتولى شخص مســؤولية ما فان أمامه طريقين:إذا نجح فيها إستمر، و إذا أخفق يفسح المجال لغيره "، وهي ترى فشلاً طال ٧٠ مليون مصري.. لذا تنضم للمطالبين بالتنحي، (محمد أحمد – القاهرة) وسع مطالبته فـــ"الإنــتقادات والمطالبة بالتغيير لا تقف عند الرئيس وحده بل يجب أن تطال كل الأجهزة.. وزارات وهيئات ورؤساء تحرير.. إلــخ" .."فلا يخفى على أحد حجم الفساد داخل الدولة "، متسائلاً: لماذا البلدان الأخرى ينعم أفرادها بحقوق الإنسان البسيطة ويحرم مــنها المصري؟ . و يستند (عادل المصري)الى فشل مبارك في ايجــاد نائب له طوال حكمه، وينضم له(م .ح- الدقهلية) مؤيداً.. ومتعجــباً مــن" تنحــية أي شخصية وطنية نشطة يظهر لها دور ايجابي طوال ٢٤ سنة مضت". (محمد هشام- المنصورة) لخص رأيــه الداعم للتنحي بأن"التاريخ سيذكر أن عبد الناصر والسادات اخطئا لأنهما فعلا كذا وكذا.. أما مبارك فسيذكر له إنه أخطأ لأنه (لــم) يفعــل كــذا وكــذا"..، و يصــل التقيــيم مع (مواطن من المنوفية)الى أن "مصر تعيش أسوء فترة على مدى حضارتها، فقر وجهــل، تخلف وبطالة، وإستبداد وعربدة من الحكومة والشرطة، وأســوء عصــور الحرية، ليس هناك شيء يدعو إلى التفاؤل". و مع(أشرف- المنصورة) الى"أن نظامه وحكوماته المتعاقبة شردوا

أبـــناء مصـــر واستأثروا بثرواتها لأنفسهم وأقاربهم وحرموا منها الشعب. وازداد الفقير فقراً و يزداد ثراء ".

فالوضـــع وفقاً لـــ(حسام السيد- القاهرة) مقلق جداً و "تحتاج ٥٠ عاماً لإصلاح الفساد السياسي والاقتصادي الذي سببه النظام"، و فـــرص التنمية حسب (أحمد ابراهيم - القاهرة) أضاعها "تولي الكهـــول مـــن أهـــل الثقة أهم المناصب "، والحل هو التغيير كما يقـــول(عـــباس- الدقهلـــية) لـــ" تسري دماء جديدة لمواجهة سوء المعيشة و الإدارة و المهيمنين على السلطة".. "بشرط أن لا يكون التغيير بجمال مبارك رئيسا".

الـــتخوف من التوريث عبر عنه أخرون. لكن غيرهم طالبوا بـــ"أن نجيـــب من الآخر" طارحين "تقنين الملكية-الجمهورية"، فـــ(علـــي البغدادي- بغداد) لا يعتقد" إنه سيستجيب للتنحي، وقد يرشح ولده بعده"، مقترحاً"أن ينصب نفسه ملكاً، وبعده جمال، مع رئـــيس وزراء يحكـــم .. مثل ملكة بريطانيا". الفكرة لقيت صدى لدى (محمد الحسيني طه-أبو ظبي)، والنتيجة " يتحول النظام من جمهـــوري إلـــى ملكي.. وهوالملك، فإذا تولى جمال الحكم بعده يصـــبح الأمـــر طبيعـــياً .أفضل من أن ينتظر الشعب سنة أخرى ليحـــتفل باليوبـــيل البرونزي لـــ ٢٥ سنة على حكمه، وأجدى من النفخ في قرب مقطوعة ".

قـــربة مقطوعـــة.. تعبـــير يأس، تماس معه عديدون فحسب (حســـين كمـــال- القاهـــرة).."مصر محكوم عليها منذ الأزل بأن حاكمهـــا لا يتنازل إلى أن يموت أو يغتال"، ويصف (سيد علي - القاهرة) التنحي بإنه "من أحلام اليقظة"، أما (محمد السعيد فرج -

القاهــرة) فيرجع يأسه الى أن"الشعب فقد القدرة على إدارة شئون نفسه".. مع ذلك فهو متمسك بــ" إعطائه الحق في تقرير مصيره حــتى لــو أدى ذلــك إلى كارثة"، وأرجع (أبو أحمد الموسوي- السعودية) ضعف الشعب الى"أنهم تحت تأثير التنويم المغناطيسي، وإيهــامهم بــأن قيادة مبارك هي الأفضل"، في حين أرجع خمسة مشــاركين يأسهم الى أن قرار التنحي لن يصدر من القاهرة.. بل من واشنطن.

بيــن تأيــيد مــبارك ومطالبته بالتنحي واليأس طرح البعض حلــولاً وسطاً، منها إصلاحاً تدريجياً حقيقياً كماشدد (ممدوح وديع و خالد- القاهرة) وإقترح خالد "مجلساً أعلى للرئاسة يقوده مبارك وعدد من نوابه في مناخ يسمح للجميع بإظهار قدراتهم وكسب ثقة الشــعب"، ومــنها موافقــة (إبراهــيم -القاهــرة) على ترشيحه فترةأخيرة، بشرط تغيير الدستور في عهده، لينص على عدم جواز ترشــيح أي رئــيس مستقبلاً لأكثر من فترتين، و اختياره من بين مرشــحين متعدديــن. وأن يكون منصب الرئيس شرفياً. في حين طالــب (جــلال فهمي- القاهرة) الــ بي بي سي بــ"استفتاء بين قــرائها المصــريين على رئيس الجمهورية القادم، من بين ثلاثة أســماء .. جمــال مــبارك، عمرو موسى، مصطفى الفقي. أما (أرمانــيوس -القاهــرة) فقــد وعد مبارك "إذا تنحي بان التاريخ سيكتب أسمه بالنور".

٢٠٠٤-١١-٢١

منافسة مبارك

القافلة بدأت مع "إغماءة" مجلس الشعب

*ضياء الدين داود: الساحة لا تسمح بالمُنافسة.. سنختلف منذ البداية والفشل يضاعف الإحباط.

*د.حسن نافعة: الحل في "توقيعات تفويضية" وفرز مُنافس من بين التحركات الشعبية.

*أسامة أنور عكاشة: مس لـ"العصب الحساس".. ولا حماية بدون الجماهير.

*صنع الله ابراهيم: تحريك الشراع لن يتحقق الا بتحويل مبدأ المُنافسة لقضية رأي عام.

*يوسف شاهين: مايهمني أن أختار الرئيس مثل أي مواطن أوروبي.. سأقف خلف من تدعمه الأغلبية.

*خالد يوسف: أخشي تفتت القوى السياسية.

*جمال أسعد: إختبار لقدرة السياسين على التوافق و تجاوز خلافاتهم.

*عبدالمنعم أبو الفتوح: نعم هناك دعم من قيادات بالأخوان للفكرة ولإسم محدد.. لكن بصفاتهم الشخصية.

*أيمن نور: "الغد" وراء من تتفق عليه الأغلبية.. ولو إختلف معنا أيديولوجيا.

*عـبدالعزيز الحسيني: لن تنجح الفكرة بدون برنامج شعبي وكتلة تضغط لتحقيقها.

*جورج إسحق: النقاش مستمر حول إسم له مصداقية وقادر على تحمل عنف السلطة.

*هشـام قاسم: خطة فاشلة.. لنركز على إصلاح تدريجي.. بعد الإستفتاء.

* "هيكل".. رحب منتقدا فكرة "أبو الأمة" وإقترح مرشحا من جيل الوسط.

*دستة مواقع على الإنترنت تنافست على طرح المُنافسين.

"المنصـب/الرئيس" ليس فقط قاطرة الدولة كما الديمقراطيات المعـروفة.. خاصة الجمهوريات الرئاسية منها، بل"هو الدولة.. و الدولة هو"، على حجمه تضبط قواها ومكانتها الإقليمية و الدولية.. إمـا أن تـأخذ حجمها الذي تستحقه أو تتكمش تدريجياً كما حدث لمصر العقود الثلاث الماضية، فلا إصلاح لأحوالها إلا بإنزاله من "ذات رئاسـية" فـوق مواطنيها الى "محل للتنافس" بين المواطنين أنفسهم.. بإنتخابات حقيقية.

والإنـتخابات حسب توضيح (د.محمد السيد سعيد) ليست فقط وسـيلة لإختـيار رئيس من بين متنافسين، فالأهم انها تنشط ذهن المجـتمع سياسـياً وتعـرفه بخياراته وتفرز نظريات وتجمعات تـتمحور كـل منها حول مصالح معينة.. انها اللحظة الأروع في

حياة أي شعب. (د.السيد سعيد) نبهنا أيضا الى أن مصر أقدم "دولة" في التاريخ، ولا يليق أن تحكم بدستور تسلطي . لا ينفرد الباحث المعروف بمركز الأهرام للدراسات السياسية والإستيراتيجية بهذه الرؤية، فهناك ما يشبه الإجماع على حتمية تعديلات دستورية في القلب منها إختيار"الرئيس/ القاطرة"بين أكثر من مرشح. وأمام إصرار النظام على التفرد بالمنصب.. توزعت رؤى التعامل مع "إحتكار" الذات الرئاسية له بين ثلاثة توجهات.. يتماس أولها وثانيها في عدة نقاط.. ويقف الثالث مُنعزلا مقتربا من رؤى "الذات الرئاسية".

الأول: تمثله أمانة تحالف أحزاب المعارضة المعترف بها رسمياً، يفضل الإستمرار في الضغط بالوسائل المتاحة وفقا لواقع الحياة السياسية لتحقيق الإصلاحات المطلوبة. أخر تحركات التحالف كانت مؤتمر عابدين المقرر عقده في الخامس من نوفمبر القادم[١]. والثاني في القلب منه الحركة المصرية من أجل التغيير (كفايه) التي ترى ان الوسائل المتاحة لم تعد تجدي، والحل في معركة سياسية مُتصاعدة تطرح إسماً مدعوماً شعبياً[٢]، تتكتل حوله معظم الفعاليات السياسية لمنافسة مبارك الأب..على الأقل إعلامياً.

(ضياء الدين داوود)[٣] رئيس الحزب الناصري، أحد أبرز أحزاب "التحالف"، عبر عن تحفظه القريب من الرفض للفكرة، فنحن – على حد تعبيره- نواجه سلطات لا نهائية.. نتوقع ألا نُسأل عما تفعل، وأي إسم سيطرح كمنافس "ح يتجرح" وقانون الطوارئ جاهز للتطبيق . وتسائل (داوود)–الوزير السابق و رجل

القانون- كيف يمكننا إختراق المانع الدستوري الذي يشترط لطرح الأسماء للمنافسة الحصول على تأييد ثلث أعضاء مجلس الشعب.. وطــرحها للإســتفتاء بحصــولها علـــى ثلثي الأعضاء.قلت له.. المعركة حسب تصور حركة"كفايه" سياسية في المقام الأول لحشد و تحريك رأي عام ضاغط لتعديل الدستور. لكن رئيس الناصري تمســك بــتحفظه محــذراً من ان المعركة ستؤد من أول لحظة.. فالخلاف سيتفجر حول الإسم المطروح، والساحة السياسية مُنقسمة علــى نفسها في ظل بيئة لا تسمح لها بالتحاور والتوافق، مشيرا بشكل خاص الى التيار الناصري، الذي رغم ثوابته الواحدة موزع على "تلاتين فرقة".

(داوود) حــرص علــى توضيح إنه ليس رافضاً للفكرة من حيث المبدأ بقدر ما هو متشكك في جدواها.. وفي فرص نجاحها، لأن فشــلها -كمــا يتوقع- سيغرق الناس في مزيد من الإحباط. (داوود) الــذي أكــد عــدم وقــوف (الناصري) خلف الإسم الذي ســتطرحه (كفايــه) .. أياً كان، أكد في نفس الوقت أهمية طرح فكرة "المنافس" للجدل العام.

طــرح مــنافس علــى "الرئاسة" ليس وليد اليوم، فعلى شبكة الإنترنت "دستة" مواقع طرحت الفكرة.

"فــي يوم سطعت عليك فيه شمس الديمقراطية لترشح رئيسا لمصــر".. هكذا دشن موقع (شئون مصرية) حملته. إستطلاعات الــرأي المشــغولة بــــ"المنافس على الرئاسة" بدأت أولاها عقب "إغمــاءة " مجلــس الشــعب و تزايد عددها مع "جراحة ألمانيا"،

طارحـــة أســماء تــراها معــبرة عن ألوان الطيف المصري من (مــبارك الإبــن) الى (نجيب ساويرس)، مرورا بـــ(عمر سليمان وأيمن الظواهري وعمرو خالد ومجدي أحمد حسين ونعمان جمعة ورفعــت السعيد وحمدين صباحي.. وعمرو موسى) ، ولم يُطرح إســم (مــبارك الأب) إلا فـــي مواقـــع تنشـــغل بتقيمات الأفضل والأسوء.

مـــن شـــبكة الإنترنـــت الـــى شبكة "قعدات" ضمت سياسيين ومثقفين انشغلت بمستقبل وطنها، إقترح أحدهم أحياء مصطلح "أبو الأمـــة"، بالإستقرار على إسم له قيمة وطنية مجمع عليها، تحتشد حولـــه الـــتحركات الساعية للتغيير، الطرح كان قويا اثناء وعقب جـــراحة ألمانـــيا، وقتها تحدث البعض عن أبو الصناعة المصرية (عزيز صدقي) وعن شيخ القضاة (يحى الرفاعي) والفقيه القانوني (طـــارق البشري).. وبالطبع ("الإستاذ" هيكل). (هيكل) كان أول "الأبـــاء" الذيـــن نوقشـــت الفكـــرة معهم، ونقل عنه ترحيب بها.. وإعـــتراض علـــى الشـــريحة السنية المُقترحة، لأنها ضد طبيعة الأمور وضد الأفكار المطالبة بالتجديد والتحديث. (هيكل) إستخدم هنا مفردة عامية[٤] تعني إنتهاء دور هؤلاء.

لكن فكرة طرح منافس لمبارك..الأب أو الإبن، خرجت للعلن في العاشر من سبتمبر الماضي، اثناء مؤتمر جماهيري حاشد ضم كل الأطياف السياسية على منصة واحدة تضامنا مع سجناء الرأي بنقابة المحامين، و إستغله القيادي الناصري (عبدالعزيز الحسيني) للمطالـــبة بالـــتوحد في كتلة واحدة ببرنامج إصلاحي يقترب من هموم الشارع.. يطرحه كواجهة له إسم يتفق عليه كمنافس على

الرئاسة . (الحسيني) إقترح معايير محددة لضبط الأسماء المرشحة.. معروفة نسبيا للكتلة النشطة سياسياً، قادرة على مخاطبة الجماهير و التواصل معها، سبق إختبارها في مواقف نضالية وتحملت بطش السلطة و لم تتراجع .لأن المعركة- من وجهة نظره -ستكون شديدة القسوة. و الأهم ألا يكون منغلقاً ايديولوجياً.ليحظى بدعم معظم التيارات .

في نفس المؤتمر إلتقط القديس (نبيل الهلالي)[٥] الفكرة داعماً و مؤيداً.. بل ومصرحاً لفضائية (الجزيرة) بان حركة (كفايه) ستتبناها وتأخذ خطوات نحوها.. لتصبح المرة الأولى في تاريخ مصر الحديث التي يطرح فيها منافسا للحاكم منذ طرح (محمد علي) بديلا لـ(خورشيد باشا).

الفكرة كانت مطروحة أذن في كواليس الحركة المصرية من أجل التغيير (كفايه)، التي رفعت في مؤتمرها الأضخم بجمعية الصعيد شعار "كفاية طوارئ"، وهي تضم حتى الأن أكثر من ٦٠٠ سياسي ومثقف.

في مؤتمر جمعية الصعيد أخذت الفكرة زخماً جديداً . يقول منسق الحركة (جورج اسحق) : الفكرة ما زالت قيد البحث.. لخطورتها، والموضوع عاوز حنكة في التعامل، النظام يدعم مقولة ان لا بديل غيره سوى عدم الإستقرار ، نريد طرح إسم له مصداقية تفوق ما هو كائن .. قادر على تحمل ضغوط متوقعة من السلطة. (جورج) تحدث عن وضع قائمة للفرز منها.. بتمهل وبمشاركة معظم القوى، متوقعا جدلاً حول الإختيارات المطروحة.. "لإن النظام قتل الحياة السياسية ولم يسمح بنمو رأي

عـــام يفـــرز قـــيادته". (جـــورج) إقترح على (كفايه) والداعمين لـــتحركاتها اتخـــاذ مقـــال المستشار(طارق البشري)[٦] في العدد السابق من (العربي) .."مانيفستو" لمعركة "المنافس".

علـــى حـــدود الفكـــرة وقـــف (د. حسن نافعة) استاذ العلوم السياســـية بجامعة القاهرة، قائلاً: اذا كانت المسألة معركة سياسية وأســـاليب ضـــغط، فهناك وسائل أكثر جدوى، أهمها إتفاق معظم عناصـــر المجتمع المدني والأحزاب على هيئة قومية لها مصداقية وطنـــية.. تعبر عن كافة الإتجاهات لتقود التحركات الإصلاحية، وتمـــارس دوراً مشابهاً لما فعله المطالبون بالإستقلال قبل ثورة " ١٩".. مع حملة توقيعات "تفويضية" لهم لإكتساب شرعية موازية للســـلطة. الهيئة حسب طرحه ستتولى أيضا صياغة دستوربديل، أبرز ما فيه إنتخاب الرئيس من بين أكثر من مرشح.. وبالتوازي مـــع تصـــعيد تدريجي للأنشطه، ستتولد بصورة طبيعية الأسماء المنافسة.

استاذ العلوم السياسية إنضم لرئيس الناصري فى مخاوفه من خلافـــات متوقعة حول الإسم المنافس، مشيرا هنا الى أن أحزاب المعارضـــة الـــتى تشكو من إستبعاد النظام لها، استبعدت بدورها قوي لا يعترف بها النظام المطلوب تغييره. و أيضا الى تحركات عاصـــرها العاميـــن الماضيين.. بدأت بحماس سرعان ما يفتر . تخـــوف (د. نافعـــة) الأساســـي يأتـــي من الموات المسيطر على الساحة، فأذا كانت الكتل النشطة تفتر بسهولة.. فماذا عن الشارع الذي بدون تحركه لا أمل في أي إصلاح. (د. نافعة) _آخيرا_ لم

يـــر في جيل الوسط الذي إقترحه (هيكل) إسما يستطيع إستقطاب الناشطين و الشارع حوله.

"الفكرة براقة من أول وهلة"..علق السيناريست المُبدع (أسامة أنور عكاشة)، لكنه سرعان ما إنضم لتخوفات رئيس الناصري و (د. نافعـــة)، مُقترحاً أن تبدأ المعركة بخطوات محسوبة.. متتالية وســـريعة، مُتفقاً هنا مع (نافعة) على أحياء حملة توقيعات ثورة " ١٩"، علـــى أن تُـــرفع للرئـــيس ليرى المطالب الحقيقية للشعب. تخـــوف (عكاشـــة) الأكبر كان البطش المتوقع ضد الناس، فنحن بتعبـــيره الحرفـــي "نقـــترب من منطقة ظلت مُحرمة لعقود.. من العصـــب الحســـاس للـــنظام". ورد السلطة سيكون عنيفاً مستغلة الطـــوارئ والتجريم.. مُستندة الى ان الدستور حدد طريقة وحيدة لإختيار الرئيس . لذا فهو يطرح تحركاً يشبه المؤتمر العام ..غير حزبي، وفرصته الوحيدة في الحياة ترتبط بحشد الجماهير حوله.. فبدونها لا حماية من البطش.. ومن هذه التحركات سيفرز الشارع منافسي الرئيس.

تخوفـــات مماثلـــة لدي الروائي الكبير (صنع الله ابراهيم)[٧]، فبدون الغاء الطوارئ و إطلاق حريات التعبير و إصدار الصحف ستولد الحركة ضعيفة. كيف ستصل الى الشارع؟.. يتساءل (صُنع الله)، لكنه كما (نافعة) و (عكاشة) يستعيد تجربة توقيعات "١٩١٩ "، لـــيس فقـــط لاكتساب شرعية موازية، بل أيضا لعدم "تخويف الناس" المرعوبين من كلمة سياسة، فطلب التوقيع من وجهة نظر (صُـــنع) لـــن يعتبره الناس بخطورة المطالبة بالتظاهر.. وعندما تـــتحول الحملـــة الى قضية رأي عام سيسهل تحريك الشارع ..

وطــرح الأسماء المنافسة. (صُنع) إستدرك: ليس معنى ذلك انني ضد الفكرة لأنني سأقف خلف من تتفق عليه أغلبية القوي النشطة.

ولايرى مخرجنا (يوسف شاهين) تناقضاً بين توجهي "تحالف الأحــزاب" و حــركة (كفايه) المُنضم إليها[٨]، فيمكننا التحرك في الإتجاهين معا ، فالمهم عنده ان يحصل على حق إنتخاب من يدير أمور بلده مثل أي مواطن غربي. و لتلميذه المخرج (خالد يوسف) نفــس الــرأي تقريبا، لكنه إنضم لتخوفات إجهاض فكرة (كفاية) بالخلاف حول الإسم، مضيفا أن المبدأ هو التغيير الجذري والباقي تكتــيكات نــتفق ونختلف حولها.(خالد)الموقع على بيان (كفاية)- سيدعم من تختاره متوقعاً دعماً مماثلاً من (شاهين).

نائب الشعب -سابقا- (جمال أسعد) رحب بالطرح كـــ"عملية رمـــزية" تخـــدش إستحواذ فرد على المنصب، وبالطبع لا يتوقع مرورها من مجلس الشعب لانه في "أيد مبارك". ورغم أن (أسعد) تمـــنى ان يفرز الشارع تلقائيا مرشحيه الا ان تفهمه للواقع يدفعه لتحبيذ طرح "إسم/رمز"، كادر جماهيري.. له علاقات وثيقه بكافة القـــوى. اتفاق (أسعد) مع تخوفات من سبقوه حول خلافات الاسم ،لم تمنعه من التشديد على أن أساليب "إدارة "الخلاف تضع القوى النشطة على المحك.. كأختبار فعلي لإمكانية توافقها.

داخـــل حركة (كفايه) عدد كبير من رموز الأخوان.. كأفراد، لكننـــي كنـــت واضــحاً مع (د.عبدالمنعم أبو الفتوح)[٩] في أنني أتحـــدث لقـــيادة أخوانـــية. (أبو الفتوح) كان متابعاً للطرح .. ولم يرفضه، مع تأكيده على أن الأمور لم تتبلور بشكل نهائي، وهو لا يتوقف كثيراً عند مخاوف الخلاف على الإسم، لان المعركة تهدف

لتوعـية الـناس بالأهمـية القصوى لإنتخاب الرئيس ديمقراطياً لتحسين حياتهم وضمان مستقبل أبنائهم. (أبو الفتوح) مع تقليله من أهمـيةخلافات الإسم. تسائل.. ما البديل والنظام يرفض تماماً أي نقـاش حول تغيير حقيقي؟. وللأخوان مطالب محددة في"الإسم".. لـه ثقـل نسـبي بيـن الـناس، يحترم الدين و القيم الروحية.. والحـريات، يقبل بالآخر.. آيا كان هذا الآخر، متسامح و يعي قيم الحضـارة المصـرية بعناصرها.. من الفرعونية الى الإسلامية. (أبوالفـتوح) رأى ان البيـئة المصـرية مليـئة بالعشرات ممن يصـلحون للمنصـب.. لكن المناخ السائد يخنقها. وهو مع تحبيذه الشخصـي لـ"إسم محدد".. رفض تحديد موقف الأخوان.. مُشدداً علـى أن وقـوف قـيادات منها خلف إسم ما لا يعبر عن موقف الجماعة.

و مبدأ طرح منافس لمبارك يتفق مع رؤية (حزب الغد) كما يؤكـد (أيمن نور) وكيل مؤسسي الحزب و عضو مجلس الشعب. (نـور) كـان متحفظا في الحديث "لأن مسؤليين أمنيين إتهموني بالسـعي لترشيح نفسي ضد مبارك في مجلس الشعب". سألته عن صحة "الإتهام".. فأجابني بضحكة، مضيفاً: أمامنا خيارين لا ثالث لهمـا.. امـا إحترام الدستور الخانق لأمال الأمة كـ"حذاء" ضيق يقـيد تحـركها، أو تجاوزه، وتجاوزه هنا يشبه "الفرض".. إنقاذاً للأمـة والوطن. (نور) وعد بتأييد حزبه- تحت التأسيس- للإسم الذي تتفق عليه "معظم" القوي[١٠].. حتى لو كان مختلفاً ايديولوجياً مع (الغد)، مُشترطاً فقط أن يكون مدنياً وينتمي لشريحة سنية أقل

كثـــيراً مـــن الشـــريحة المســـيطرة علـــى الحكم، و له قدر من المصداقية.

دائمـــا هناك مخاوف من الخلاف على الإسم.. عدا (د. محمد السـيد السـعيد) الـذي لم ير لها أي مبرر. فالعادي -يقول- أن تخـتلف الـناس وتتـناقش وتتشـابك في جدل صحي لتصل الى توافـق.. و إلا متـي سنجرب إحترام التعددية. مُقترحاً أن يدخل داعمـوا الفكرة في مشاورات موسعة، تماماً كما يختارون رئيس شـركة أو اسـتاذ كرسي في الغرب، وتُطرح عشرات الأسماء و يجـري حولها "إستمزاج"، و بعد خلافات طبيعية يمكن الإستقرار علـى قائمـة محدودة، ليجري عليها ما يشبه الإنتخاب الداخلي. (د.السـعيد) لا يرى ضرورة لإجماع هنا، يكفي أن تتفق الأغلبية على شخصية.. يُفضل أن تكون غير حزبية، قادرة على القيادة.. تحـت الخمسـين و "يقظة ذهنياً". وهو أيضا لا ير فشلاً في عدم الإتفاق على إسم وحيد.. فما المانع ان يكون إسمين أو حتى ثلاثة، صـحيح ان هـذا يضـعف وحـدة التحركات.. لكنه يرسخ مبدأ التنافسية ويقتل مبدأ "الواحدية".. حتى في داخلنا نحن.

خارج التوجهين المتداخلين تقف ثلاث منظمات "حقوقية" شبه مـنعزلة، تطالب بإصلاح تدريجي.. يبدأ بعد الإستفتاء و الموافقة علـى فـترة جديدة لمبارك. (هشام قاسم) العضو المنتدب لجريدة (المصـري الـيوم) و رئيس المنظمة المصرية لحقوق الإنسان، إشـترط للحديث ان أصفه - فقط - بـ"الناشط السياسي"، مبرراً ذلك بإن رأيه "الشخصي" قد يبدو مُتصادماً مع الحريات، مُوضحاً ان التركـيز علـى الاصـلاح الجذري و على رئيس جديد يهدد

الإســتقرار، فـــ"الــثورة"- كما يرى- دمرت السلطة التشريعية والقضـــاء والإعـــلام.. وجاء النظام الحالي ليقضي على السلطة التنفــيذية، وبالتالي ليس بالمجتمع آليات سياسية تمكن "مدني" من الحكـــم.. "ســتفلت منه". (قاسم) تساءل.. هل نريد ان نصبح مثل تونــس.. إنــتخاب بين أكثر من مرشح.. ونتيجة صورية تماماً.. والمنافسون أنفسهم يؤيدون الرئيس؟. تساءل أيضا.. ما هي آليات ضـــغطهم، لـــيس معهـــم قوى شعبية ولا منظمات رأسمالية ولا عسكر.. الحكومة تتعامل معهم كجزء من ثقافة الإحتجاج[١٠].

تعبـــيرات تشـــبه كرسي في الكلوب، لكن (كفايه) ماضية في طـــريقها، الإثنين الماضي إجتمعت أمانتها العامة و إستقرت على صـــياغة عريضـــة ذات طـــابع شعبي لجمع مليون توقيع عليها، وتنشـــيط تحـــركاتها في انحاء مصر، وتشكيل لجنة قانونية تضم (شـــيخ القضـــاة يحـــى الرفاعي والمستشار طارق البشري ونبيل الهلالـــي و د.عـــاطف البـــنا وعصام الإسلامبولي) .. وغيرهم، لضبط تحركات "كفايه" قانوناً وصياغة تعديلات دستورية مُقترحة - أيضاً- تضبط إنتخاب وصلاحيات الرئيس.

١٧-١٠-٢٠٠٤

هوامش

(١) فشل التحالف في عقد أية مؤتمرات وظل ممتثلا للرفض الأمني حتى إنتهى وجوده تقريبا.

(٢) لأن فكــرة"المنافســـة" كانت إعلامية وسياسية في المقام الأول، لحشد الجماهير حولها تمهيدا لإعلان العصيان المدني، فقد تراجعت (كفايه) عن الفكـرة بعد إعلان مبارك الشروط المستحيل تحققها مع تعديل المادة"٧٦" من الدستور، مُعلنة العصيان السياسي تمهيدا للعصيان المدني.

(٣) بعد خلاف مع أمينه العام(أحمد حسن)، نجح رئيس الحزب الناصري فـي إقـناع مكتبه السياسي، ومنه (أحمد حسن) نفسه، بمُقاطعة إنتخابات الرئاسـة بعـد إتمـام الـتعديل الدستوري، معتبراً الأمر كله "لعبة تنتظر كومبارس لإكمالها".

(٤) استخدم هيكل تعبير"كُهنه".

(٥) مناضـل ماركسـي رائد، ورجل قانون وقف ودافع، في الحياة وأمام القضاء، عن كل التيارات السياسية، حتى الأكثر تناقضا مع أفكاره.

(٦) "أدعوكـم للعصيان".. عنوان مقال / دراسة، أكد فيه (البشري) تعري نظام مبارك من أية شرعية وهو ما يستدعي الدعوة لعصيانه مدنيا. وثائق.

(٧) أحـدث (صُـنع الله) زلـزالا في الحياة الثقافية والسياسية المصرية والعربـية، برفضـه جائزة القاهرة للرواية أكتوبر٢٠٠٣، لأن الجهة التي تمنحها فقدت كل مشروعية.وثائق.

(٨) في حوار شهير له مؤخرا، ورغم تأكيده على انه"كفايه فعلا لنظام مبارك"، وترحيبه ودعوته الفنانين للمشاركة في مظاهرات(كفايه)، نفى (شاهين) توقيعه على بيان الحركة، موضحا أن "أحدهم" وقع نيابة عنه.

(٩) وقع (أبو الفتوح) كما العديد من قيادات الإخوان على بيان (كفايه)، لكنهم غابوا عن أنشطتها.

(١٠) نور: من الموقعين على بيان (كفايه)، شارك في إجتماعات تأسيسها، ورغم إعلانه إلتزام حزبه، بعد الموافقة عليه، بقرارت الحركة، فاجأها بإعلانه ترشيح نفسه، لتحدث ما يشبه القطيعة بينهما.

(١١) موقف (هشام) من الإصلاح التدريجي شهد ما يشبه الإنقلاب، عقب صيغة التعديل التي إقترحها مبارك.. لتشبه ما وصفه هشام بـ(النموذج التونسي).(هشام) شارك في حملات داخلية وخارجية تحت شعار"تغيير جذري والآن".. بدلا من " التدريجي".

بعيداً عن موقف الأمن و"الأُصبع الوسطى" للفكر الجديد:

مظاهرة "شبرا مصر"..
الشارع ينتظر من يقوده

(شبرا مصر).. هكذا عرفناه "ها" تميزاً عن مئات الشبراوات فى مصر.

نشأ مع تأسيس محمد على مصر الحديثة، وارتبط في ذاكرتنا بالطبقة الوسطى، رغم تكونه بداية على أيدي الأثرياء.

لـــ(شبرا مصر) في ذاكرة من عاشوها ومن اقتربوا منها طبيعة خاصة، بيئة مُنفتحة.. أكثر تقدماً اجتماعياً.. قادرة على احتضان نماذج لثقافات مختلفة، والأهم تجلي الوحدة فيها بين عنصري الأمة.. دائماً ما تقفز مع "اسمه/اسمها.. الحي/الشارع/الحته"، نماذج تعايش وتداخل بين العنصرين تجاوزت كل ما مر بالوطن من أزمات.

ـ(شبرا مصر) صورة أخرى موازية.. شعبية، "ولد بيكلم بنت على التلتوار" كما أبدع (عبدالرحمن الأبنودي). وشقاوة شبابها.. وجمال ورقة بناتها. ومنها خرجت.. وفيها عاشت

أســماء، ظلــت وفية لروح المكان، تتذكرها في أفلامها،(يوم حلو ويــوم مــر) لــ(خيرى بشارة) و(أحلى الأوقات) لــ(هالة خليل) و(فــيلم هــندي) لـــ(منــير راضـــي)... وقبلها (بداية ونهاية) لــ(صلاح أبوسيف). وكتابات.. رواية (شبرا) لــ(نعيم صبري)، وإبداعــات (فتحــي غانم)، خاصة روايته (بنت من شبرا)،التي تحولــت إلــى مسلسل/ مشكلة تكشف عن تشوهات ألقت بظلالها علــى الوطــن كله. ومذكرات المؤرخ/المفكر (رءوف عباس).. (مشــيناها خطى كُتبت علينا)، ودراسات وأبحاث المؤرخ (محمد عفيفــي المُنشــغلة) بـــ(شبرامصر).. كحالة تاريخية اجتماعية ثقافية.. وكتلخيص لمصر مأمولة ومأزومة.

"يــا أهل شبرا.. ياوحدة"، شعار الدعوة للتظاهرة التي شهدها الشارع، بدأت السادسة بعد عصر الأربعاء.. تذكيراً بفضيحة هتك الاعــراض الــتى ارتكــبها مجــرمو الفكر الجديد يوم الأر بعاء الأسود.

اهتمــت كــل وسائل الإعلام العربية والأجنبية بالمظاهرة.. لكــنها توقفــت، فقط، هي وصحف بريطانية وأمريكية عند مشهد واحــد.. موقف الأمن منها. ولم يلتفت أحد لدلالات كثيرة شهدتها المظاهرة.. أولها المكان بطبيعته الاجتماعية الخاصة، والأهم.. أن المقولة التى يصر البعض عليها منذ أشهر لها وجودها الواقعي.. "الشارع ينتظر من يقوده".

بــدأت المظاهــرة بحوالــي١٥٠ ناشطاً، وانتهت بأكثر من ١٥٠٠ متظاهر.. قطاع هتف ضد مبارك.. وآخر اكتفى بالتحرك

مـــع النشطاء مستمعاً لهتافاتهم.. لكنه تحرك معهم كيلو متر تقريباً ذهابا وعودة فى الشارع.

تـــروي (شيماء سعيد).. الفتاة المحجبة وغير المُسيسة كيف أنهـــم لـــم يجـــدوا صـــعوبة كبـــيرة فـــى إقناع فتيات بالانضمام للمظاهـــرة.. نقـــاش سريع مع تردد ثم حسم الموقف بالانضمام. نفـــس الســـيناريو تكرر مع الشاب (محمد توفيق) القادم من مُدن القـــنال، وصـــف لـــنا "تـــردد الأرجل.. وسير البعض لخطوات مُنصـــرفين ثم التفاتهم للخلف مُنضمين للمظاهرة". ويرصد موقع (الوعـــي المصري) بكاميرا (وائل عباس)[1] تطور موقف الناس، فـــرجة مـــع علامـــات دهشة على الوجه واستفسار.. ثم انضمام تدريجي للمظاهرة.

دعـــوات انضـــمام تُلبى من المئات ومعها حلقات نقاش عقب انتهاء المظاهرة، فتحها الناشطون فوق محطة مترو أنفاق روض الفـــرج.. وعلى مقهى شعبي وعلى محطتي أتوبيس، تكشف عن تشـــوق الـــناس للتغيير.. وبالطبع عن تعتيم وتشويه وعي لعقود. الســـؤال الذى يبدو ساذجاً نعرفه جميعاً.."طب مين بداله؟". هناك من أدرك، وهناك من خرج محتفظاً بحيرته.. "طب مين بداله؟".

لـــم يلتفـــت مـــن انضموا للمظاهرة لطيف ألوان الشعارات المـــرفوعة، مـــن شـــعارات حـــزب العمل الإسلامي المُجمد إلى الرايات الحمراء بالمنجل والمطرقة.. وما بينهما. لم ينشغلوا بها.. المهم أنهم انضموا و"هتفوا ضده".

ممـــن انضم مُرحباً بائعة ذرة نموذج للإفقار.. توقف عندها المراســـلون كثيراً، لم تخش تعليق ملصق(لا لمبارك). و(معلمة)

وفرت حماية شعبية للمتظاهرين، للأسف لم نستطع معرفة اسمها، فما إن أدركت الغرض من المظاهرة حتى تركت محلها إلى حيث تقف (د.عايدة سيف الدولة ود. ليلى سويف)[٢] وزميلاتهما.. سلمت عليهن مُرحبة يدا بيد.. ورافقت المظاهرة ذهاباً وعودة، وما أن يقترب أحد بلطجية (الحزن الوطني) من المتظاهرين حتى تنهره باسمه وباسم أمه!!.. فيقفون بعيداً ليعبروا عن "فكرهم الجديد".

مُستأجرو "الفكر الجديد" بدوا أقلية وسط الشارع.. معزولة شعبياً بهتافاتها المُسجلة، من نوعية "حسنى.. حسنى.. هوو.. هوو..". لكنهم طوروها إلي "مبارك ميه ميه.. حتى من غير ديمقراطية".. وارتفع مستوى فكرهم أكثر بهتاف "أحه، أحوه.. قال إيه عاوزين يشيلوه"[٣].. وأكثر فأكثر بإشارات "الأُصبع الوسطى" التي التقطتها كاميرا وكالة (الأسوشيتدبرس) ونقلتها كبريات الصحف عنها، منها (سان فرانسيسكو كرونيكل) الأمريكية.

"المعلمة" رحبت وحمت، لكن مجموعات شبابية، بعد المشاركة ودعوات النقاش مع المحامى (أحمد سيف الإسلام)[٤] وقيادات حزب العمل، طورت الترحيب إلى دعوة ملحة لتكرار التظاهر فى نفس المكان.. أو في غيره، فالمتظاهرون اتفقوا على تكريس يوم الأربعاء للتذكير بفضيحة هتك الأعراض.. وحددوا مكان المظاهرة القادمة في الزيتون.. فشارع (طومان باى ينتظرهم).. في السادسة مساء الأربعاء القادم أمام كنيسة العذراء[٥].

٢٠٠٥-٦-٢٦

هوامش

(١) مصور ديجيتال"هاوي" شاب، وثق بكاميرته كل التحركات الإصلاحية السنوات الثلاث الماضية.

(٢) د.عـــايدة: من أبرز ناشطي الحملة الشعبية من أجل التغيير. د. ليلى: إستاذ رياضيات بعلوم القاهرة، ناشطة حقوقية بارزة.

(٣) فضلنا هنا الإتيان بنص الهتاف المُسجل توثيقاً لما حدث.

(٤) ناشط حقوقي بارز، مدير مركز هشام مبارك للمساعدة القانونية.

(٥) لاقـــت (مظاهرة العدرا) قبولاً دافئاً من أهالي الحي من التصفيق لها ومدها بكميات هائلة من المياه المثلجة إلى ترديد الهتافات معها.

قانون الجمهوركية

بضوء أخضر من بوش.. وعلى نغمات "يا جمال قول لأبوك.. إحنا معاك على طول.. على طول":

"شفافية" هتك الأعراض

* نوال رداً على (الأهرام): أنا خربشتني في كل جسمي.. أنا سحلتني على الأرض.. أنا قعدت أضربني بالشوم والجزم.. انا قطعت هدومي أمام الكاميرات!!.

*عبير: (ماجد الشربيني) حرض أمن الدولة ضدنا.. و(الصغير) خنقني وضرب رأسي في الحيطة.

*نشوى: صرخ لواء شرطة هاتوا البت دي.. كان كل همي التشبث بملابسي.

*شيماء: معاون المباحث صرخ "هات النسوان".. كانوا مسجلات خطر.

*إيمان طه (شرخ بالحوض): تألمت.. فركزوا شلاليتهم على مكان مرضي.

*إيمان عوف: الرسالة بقذاراتها وصلت.. سنرد بمظاهرة فتيات فقط.

*رابعة: أمسكت بمن مزق ملابسي.. فضربوني تاني.

*ساره: إستمروا في وحشيتهم رغم صرخاتنا وكارنيه المراسلين الأجانب.
*منظمات دولية رصدت الأسماء وبدأت تحقيقاتها لمحاكمة المُعتدين دولياً.. وحملات إنترنت للإستعانة بنشطاء سلام أجانب.
*رابطة إمهات المصريات تدعو لإرتداء الملابس السوداء الأربعاء القادم.
*"الفكر الجديد" يُطمئن رجاله: لا محاكمات.. تصريحات بوش لـ"لإستهلاك الدولي".

لم تكن شجاعة "منهم".. ولا جُبناً من (محمد أبوسويلم)، فما بالك بـ"القوارير".
لا جديد: فأضعاف أضعاف جرائم النظام و"تفرعاته" يوم الأربعاء الأسود، تحدث يومياً في كمائن وأقسام الشرطة وفي المعتقلات، وفي منازل وشوارع من يُراد إعتقالهم أو تأديبهم لإتهامهم أو خلافهم عن حق أو باطل مع هذا المسؤول أو قريب مسؤول أخر.
لا جديد: فما كتبه (سمير رجب[1]-الأب)، وإقتدى به -على مستوى أخر- (عمرو عبدالسميع[2] وعبدالله كمال[3]-الإبن)، وما زعمته (الأهرام) في فضيحة مهنية عن"الزميلة" الصحفية التي مزقت ملابسها بنفسها!!، ليس بعيداً عن الشتائم التي رددها "بلطجية النظام" ضد المعارضين وعابري السبيل، وليس بعيداً عن الصورة [4]"المُعبرة عن النظام" التي إنفردت بها (الوفد) أول أمس، وليس بعيداً عن شتائم وضربات وجهها (على

الصـــغير)عضو مجلس نقابة المحامين(حزن وطني) لصحفيين.. يؤدون عملهم، فالنظام بكل تفرعاته يُعبر عن نفسه بمفرادت حكم بها ٢٤ عاماً.. منفرداً أوشراكة.. فكر قديم وجديد.

لا جديد: فالنظام، كما إعتاد، ضبط تصرفاته على إيقاع البيت الأبـيض، معــتمداً علـــى ما وصفه رجاله بضوء أخضر لسحل المعارضين.. وان ما تردد عن تحويل (جمال) لأربعة من قيادات "فكــره" للتحقيق"نكتة".. وان تصريحات (بوش) الخميس الماضي لــ"الإستهلاك الدولي".

الجديــد: فقــط.. هــو "شــفافية".. "الفكر الجديد" في تطبيق شعاراته عن "حقوق المواطنة"، دون خجل.. أمام كاميرات العالم.

فـــي المشـــهد: صور وشرطة (الأب[٥]) ولافتات وشعارات مُبايعــته.. وإفــرازات سياسات حكمه ٢٤ عاماً، وميليشيا رجال (الإبــن) و"شلته".. وإفرازات إضافية لسنوات شراكته في الحكم. نفــس الجُناة ونفس المستفيدين، وضحايا معارضات وصحفيات.. ومُحايدات إعتقدن ان بُعدهن عن "الشر" سبقيهن أنيابه.

فـــي المشـــهد: ضـــريح لزعيم مصري..ومتظاهرون عرفوا المكــان الــبديل لمظاهرة كفايه.. فبدأوا ترديد هتافاتهم السياسية، وأمــامهم- تجــاوزاً- متظاهرون يرددون "يا جمال قول لأبوك.. إحــنا معاك على طول.. على طول"..."يا مبارك دوس.. دوس.. إحنا معاك من غير فلوس."..."حسني.. حسني.. هُو هُو".."الحزب الوطني قال لنا.. حسني مبارك في دمنا".

فـــي المشـــهد: قيادات شرطة، ومُجندو أمن مركزي بأجسام مُــرهقة ووجــوه لا تفهــم ما يحدث، وعشرات الفقراء و"مُشردو

إستنشـــاق الكُلـــه".. وجـــدوا فرصة عمل لساعات، كـــ"مرتزقة" يضربون خلالها "أعداء الوطن".. دعماً لنظام أفقرهم وحولهم إلى وحوش، في تنويعة أخرى على (سبع ليل[٦] فيلم (البرئ).

فـــي المشهد: مراسلات وكالات أنباء أجنبية ورموز سياسية ومهنية وأكاديمية.. وفي التالي لواءات يشيرون نحو المتظاهرين، ليُصـــنع كـــردوناً ســـريعاً، يخـــتلط داخله الجميع كهدف مشترك لبونيات وشلاليت وضربات عُصي وشتائم من "المتنقي"[٧].

لن نتوقف عند ضرب الزملاء (عبدالحليم قنديل وجمال فهمي ومحمـــد عبدالقدوس).. ود. مصطفى كامل السيد[٨]، بمواطنيتهم.. وثقلهـــم السياســـي والمهنـــي كـــل في دائرته.. ومعهم عشرات المتظاهريـــن، ففـــي"كـــردون التأديـــب".. (سارة الديب) مراسلة الأسوشـــيتدبرس[٩].. والناشطة (إيمان عوف).. وغيرهما، مجرد نمـــاذج.. فســـاحة "الإستباحة" إمتدت من حدود السيدة زينب حتى وسط البلد.. وطالت عشرات "القوارير"[١٠].

اثناء تغطيتها إنتخابات ٢٠٠٠ تعرضت (سارة) لإعتداء بشع من مسجلات خطر يقودهن ضابط، لمحاولتها –كجزء من عملها– رصـــد وقـــائع تزويـــر. لم تنس(سارة) الجريمة التي مرت عليها خمـــس ســـنوات، لكنها تؤكد ان ما حدث الأربعاء الماضي كان أبشـــع. تروي: أبرزت لهم بطاقتي كمراسلة لوكالتي.. وسمعوني أتحـــدث مـــع زملائـــي في المكتب، مع ذلك حاصرونا بين حائط وسيارة مركونة، شعرت أنني فريسة وأخريات بين أيدي وحوش، وبونيات وشلاليت وشد شعر بهمجية.. وشتائم بشعة لنصف ساعة

تقريـــباً، لـــم يهـــتم اللـــواءات بصرخاتنا وبكائنا، سرقوا نظارتي ومزقوا ملابس بعضنا.

(سارة علاء الديب)[١١] التي تؤكد أن القائمين بالتأديب كانوا شـــرطة بملابـــس مدنـــية.. لم يُنقذها إلا "تحايل" أحد المصورين بوكالـــة أجنبية على "رُتبة".. "دي عيانة بالقلب ولو ماتت ح تبقى مشكلة ليكم".. فتدخل نقيب ومد يده وأخرجها من "المطحنة".

"لـــم يحدث لي شيئ تقريباً". كانت (رنوه يحى) مراسلة وكالة الأنـــباء الألمانـــية تقارن إصاباتها بالأخريات. (رنوه) التي ادانت وكالـــتها الإعـــتداء عليها نفذت بجلدها –مؤقتاً–مع بداية الضرب، لكن عملها يقتدي المُتابعة، فألحت على لواء بملابس مدنية – كان يهـــدد (محمـــد عـــبدالقدوس).. "ح نـــبهدلك"– ان يتركها تمارس مهنـــتها، فدفعهـــا بقســـوة كفتها على وجهها.. والحصيلة خدوش وسجحات بالركبتين وبأنحاء متفرقة من جسمها.

داخـــل كـــردون التأديب (إيمان عوف) الناشطة بمركز دعم التنمـــية، والتـــي نالت جزءا مما نالته مراسلة (الأسوشيتدبرس).. ضـــرب وشد شعر وشتائم، وحماها من التحرش "تحضين" الناشط (تامـــر وجيه) عليها. (إيمان) تحدثت عن ضابط أمن دولة تعرفه جـــيداً كـــان يصطحب أحد بلطجيات "الحزن الوطني" لينتقي من الشـــباب من يتم طحنه جانباً. هنا حالات كثيرة لن نتوقف عندها.. أبـــرزها مذبحة بصيدلية الدواوين، وعندما حاولت د.عايدة سيف الدولـــة[١٢] ود.ماجدة عدلي[١٣] إنقاذهم نالتا نصيبهما من الضرب والشتائم وتمزيق الملابس.

(إيمـــان) لم تصدمها التجربة على بشاعتها.. وبدأت الدعوة لمظاهـــرة قاصرة على الفتيات، ليدرك نظام البلطجية أن رسالته، على بذاءتها، لن توقفهن.

لـــم تـــبدأ "إســـتباحة" الناشـــطة (نشـــوى طلعت[١٤]) داخل "الكـــردون"، فمـــع محاولتها الدفاع عن زميلها (خالد عبدالحميد)، اثناء "عجنه"، أشار عليها لواء.. "هاتو البت دي".. جابوها، شدها مـــن شـــعرها.. "تعالـــي يابنت الكلب" وأدخلها المطحنة.. ضرب وهتك عرض. تقول"كان هدفهم واضحاً.. إذلالناً.. لم يتركوا جزءا مـــن أجســـامنا دون إنـــتهاكه بوحشـــية، سحلوني وحاولوا خلع بنطلونـــي.. فتشبثت به، وساعدني انهم لم يفهمو أن السوستة على الجنـــب". الطـــريف أن (نشوى) عندما حاولت إستفزاز نخوة أحد مُنتهكـــيها: أنـــت مالكشي أخوات بنات. رد ببوكس.. وبـــ"أختي يا(ك..) ما تهتفشي ضد الرئيس".

لم تنته المعركة، فمع إنتقال المتظاهرين إلى نقابة الصحفيين، حيث عقد (جورج إسحق) مُنسق كفايه و(عبدالحليم قنديل) مُتحدثها الرسمي مؤتمراً صحفياً على سلالمها، تحرك بلطجية النظام على نغمات"يا جمال قول لأبوك.. إحنا معاك على طول.. على طول".

أمـــام نقابتي الصحفيين والمحامين أظهر "الفكر الجديد" كل أوراقـــه، (مـــاجد الشربيني[١٥]) أمين شباب "الحزن" وأحد أذرع (جمـــال) يـــتحرك بموكبه، تُفسح امامه الطريق.. ويُطلق أوامره كأحد "قيادات الدولة".. فيمتثل اللواءات ومن تحتهم، وحوله شوهد (مجـــدي عـــلام[١٦]) و(محمـــد حنفـــي[١٧]) و(محمد الديب[١٨])..

وغـــيرهم مـــن القـــيادات الوسطى بـــ"الفكر الجديد".. وعشرات المشردين على حد وصف وكالة الأنباء الفرنسية.

لـــن نتحدث عن "طحن" المتظاهرين"الذكور" بعد خطفهم إلى جـــراج الـــنقابة وعـــن دمـــاء ســـالت بمعناها الحرفي، بل عنَ الزمـــيلة(إيمـــان طه). (إيمان) مريضة بورم ليمفاوي.. يستدعى جراحة خلال أيام، كانت ترقد في مستشفى جراحات اليوم الواحد بزهـــراء عين شمس الذي دخلته بعد إصابتها بنزيف حاد وشرخ بالحوض، ومنه أرسلت بلاغها للنائب العام.. وفيه تلقت إتصالات -كمـــا زمـــيلات بـــــ"الدســـتور" مـــن منظمات دولية وأمريكية وسويسرية معنية بحقوق الإنسان وبحماية الصحفيين. كان صوتها واهـــناً وهـــي تـــروي ما حدث لأُخريات في ضريح سعد، لكنها إضطرت للتوقف عند حالتها الخاصة، فالبلطجية ركزوا "شلاليتهم" على مكان الورم عندما رأوها تصرخ أكثر منه.. و"تحت الصُرة"، بالطـــبع ســـرقوا كل ما في شنطتها.. وهي المُغتربة عن القاهرة. تضيف: ما ألمني أن يدفعوا شباباً صغيراً لا يفهم شيئاً لضرب فتاة في أماكن حساسة.. يشوهون فقراء دمروهم بسياستهم.

وكمـــا تمســـكت (إيمان عوف) و(نشوى طلعت) بحقهما في التعبـــير عـــن رأيهمـــا.. تصـــر(طه) على إستمرارها في تغطية الأنشطة السياسية كجزء من عملها.

مهـــنة (إيمـــان) لـــم تحمها.. وهي المهنة التي إستفزت من يُفترض إنه من قادة "قلعة الحريات".. جارة "قلعة الرأي".

" يعنـــي إيه صحفيين يا ولاد.. و ولاد.. يا..."، صرخ (علي الصـــغير) فـــي الزميليـــن (عبير العسكري) و(وائل توفيق) من

"الدستور". (الصغير) عضو "الحزن الوطني" ومجلس نقابة المحامين والموظف لدى (إبراهيم سليمان) إستدعى موظفي النقابة ليتعاونو معه في الضرب، وهو يواصل شتائمه لـ"الأسيرين".. ومهنتهما.

بدأ (الصغير) إحتفاءه الخاص بـ(عبير) بقلم على وجهها وأنهاه بـ"بركه" فوقها محاولاً خنقها.. مع خبط رأسها في الحائط، لتخرج من "إحتفائه" بخلع في الكتف.. لكن تنتظرها علقة أخرى امام النقابة.

(عبير) تلقت شتائم محامين أخرين رفضوا إعتذار عضو المجلس (خالد أبوكريشة) لها .. في حين تعاطف معها فريق ثالث ذهب معها أمس لتقديم بلاغ للنائب العام ضد (الصغير) والموظفين الذين شاركوه ضربها وزميلها(وائل).

(الصغير) ومؤيدوه لم يحتجوا على وابل طوب إنهال من بلطجية "حزبه" على "قلعة الحريات". ولم يحتجوا على ما تعرضت له زميلتهم (رابعة فهمي)، التي رفض مكتب النقيب التحرك معها لتقديم بلاغ ضد من إنتهكوا جسدها ومزقوا ملابسها بحجة أن الإعتداء عليها وقع خارج النقابة!!.

(رابعة) بدت مُتحدية لمن إعتدوا عليها، عادت ثانية لتمسك بالبلطجي الذي مزق ملابسها. تقول: خلاص.. مما كنت سأخجل.. ما فعلوه فعلوه، كان همي أن أُمسك به.. وعندما جررته بالقوة لرئيس مباحث العاصمة ولمسؤول نقابة المحامين بأمن الدولة (أحمد..).. أجبروني على تركه بمزيد من الضرب. في نقطة شرطة قصر النيل رفضوا تحرير محضر بما حدث

لهــا.. وعندما إستنجدت بعضو المجلس (جمال تاج الدين) أخبرها انه موش فاضي.

لــم يــنفرد فــريق (الصــغير) بالإعتداء على (عبير)، التي تواصـــل: بعــد فترة قررت الإنصراف أنا وزميلتي في الجريدة (شــيماء أبوالخير)، شاهدت بعيني (ماجد الشربيني) يشير لأحدهم نحونـــا، ركبــنا تاكســـي لأُفاجــأ بلواء بملابس مدنية يشخط في الســـائق.. فتوقف، ثم إستدعى تابعيه.. أنزلونا لينهال علي رجال أمـــن الدولـــة.. كــل مـــا فعلـــته انني وضعت يدي على رأسي و"إتكعــورت" على نفسي، لم يكن أمامي شيئٌ أخر لوقف ضربات أيديهم وأحذيتهم.

(عبــير) تقدمــت بــبلاغ أخر ضد (ماجد الشربيني).. ليس للنائــب العــام وحده .. بل أيضاً للمجلس القومي لحقوق الإنسان ولنظــيره "للمــرأة".. ولمــنظمات دولــية إتصلت بها وبزميلتها (شيماء)[١٩].

"أول مــرة أغطــي مظاهــرة".. قالـــت (شيماء أبوالخير)، وأضـــافت: لم أفهم معنى إشارة (الشربيني) ناحيتنا.. كل ما فعلناه ممارســـة عملنا، (عبير) على سور النقابة تصور المظاهرة.. وأنا أتـــابع وســـط المتظاهرين، عندما أوقف لواء أمن الدولة التاكسي فوجئت، بمن عرفت فيما بعد انه(نبيل سليم) معاون مباحث بولاق الدكـــرور، يخلعنـــي بقســـوة مـــن التاكسي ويصرخ في شخص أخر.."هات النسوان"..كانوا مسجلات خطر

(شيماء) التي بثت صورتها مُغمى عليها وكالات الأنباء نقلاً عـــن موقع(الوعي المصري)، إستطردت: برضه مافهمتش إلا لما

لقيـتهم بيـتلموا حوالـيه وينزلوا فيه ضرب بالأحذية وبأيديهم.. وشـتائم قذرة، دقائق ولم أعد أهتم بضرباتهم.. كل همي أن أظل متشبثة ببنطلوني.

سياسـة "الفكـر الجديـد" واضـحة.. "إباحـة" الناشـطات والصـحفيات لبلطجيـته، سياسـة نتيجتها رأها مخرجنا الراحل (صلاح أبوسيف)، بعد عام من تولي مبارك الحكم، رداً على جدل البعض حول مبررات الثورة في فيلمه (البداية)، هي الشرارة التي تشعل ثورة الشعب، لانها تعري النظام من كل ما يُضلل به وعي البسطاء.. ومن يُستبعد من الإهتمام بالشأن العام.

سياسة"الإستباحة"التي طورها "الفكر الجديد"[٢٠] لم تتوقف عند المعارضـات ومن تتابعن معارضاتهن.. فلم تركب الزميلة(نوال محمـد علـي[٢١]) سيارتها الخاصة مُتوجهة إلى نقابتها للإنضمام لمظاهـرة "كفايه". اليوم موعد دورة الكمبيوتر ولا تريد أن تُسجل غـياب.. حاولت توضيح ذلك لنقيب شرطة، أقسمت إنها لن تنسى وجهه مدي الحياة، فحذرها من أن "بتوع كفايه ح يضربوا". قالت لـه طـول عمـر الـنقابة فيها مظاهرات وبندخل عادي.. سأمر بسـرعة، تحركـت.. فلاحظـته يُشير لـ (مجدي علام) عليها.. فلاحقها الأخير، أسرعت في خطواتها لكنه أشار بدوره لأخرين.

إرتفـع هـتاف"يا مبارك دوس..دوس.. إحنا معاك من غير فلـوس."، ومعـه شـاهدنا ما تعرضت له(الزميلة).. كان الأكثر قسـوة، عشرات البلطجية والمشردين أحاطوا بها.. لم تعد تظهر بينهم. وسط النحيب واصلت تألمها: كان كل همي ان أظل مرمية علـى وجهي.. وألا أسمح لهم بإغتصابي.. بشع بشع ما حدث. ما

زال صوت تمزق الملابس يرن في أذني.. جسمي كله مكسر من السحل على الأرض والدوس عليه بالأقدام.. بشع بشع.

البشاعة كانت تعبير كل من تابعوا "الحفلة الوحشية" التي نظمها "الفكر الجديد" لمواطنة "غير مُسيسة".. حتى أن بعض المشردين/ المُستأجرين إنصرفوا تقززاً، سمعهم مراسل وكالة الأنباء العراقية يسبون "د...أم العشرين جنيه بتوعهم.. دي أعراض".

أنقذ (نوال) الزميل (حسين متولي)[٢٢] وهو يستنجد بقادة الشرطة الذين يحمون بلطجية (الوطني).. بلا جدوى، أحاط بها وتحمل جزءا من الوحشية المُوجهة إليها.. وخلع قميصه لتستر به ما تعرى منها.

"الحفلة الوحشية" خرج منها بلطجية "الفكر الجديد" بغنائم مادية.. طقم ذهبي- كوليه وإنسيال- وموبايل و"٦٠٠" جنيه.. شاهد (حسين) الكوليه في أيدي أحد بلطجية "فكرهم" ولفت نظر لواء إليه، لكنه دفعه مع الزميلة إلى تاكسي بعيدا عن كاميرات المصورين والفضائيات التي نقلت فضيحة "فكرهم" للعالم.

وسط نحيبها الذي لم يتوقف لربع ساعة-مدة إتصالنا بها- كان أكثر ما أوجع (زميلتنا) هو ما كتبته (الأهرام)، في حالة موجعة من الضحك الهستيري والنحيب علقت: أه.. أنا خربشتني في ظهري وعورت باقي جسمي.. أنا سحلتني على الأرض.. أنا قعدت أضربني بالشوم والجزم.. انا قطعت هدومي أمام المصورين والفضائيات.. ولم تكمل.

(زميلتـــنا) ظلـــت حتى السادسة صباح الخميس تدلي بأقوالها ومعهـــا شـــهود مـــا حدث لها، كان معها النقيب (جلال عارف) وسكرتير النقابة (يحي قلاش) ومحاميها (سيد أبوزيد) وستة شهود منهم الزميل (حسين متولي) و فريق محامين من منظمات حقوقية محلـــية، لـــتحرر الجُنحة رقم٧١٦٥ لسنة ٢٠٠٥ قصرالنيل ضد (مجـــدي علام ومحمد حنفي ومحمد الديب) وأخرين، كما أقامت- وتضامنت معها النقابة ومنظمات حقوقية- دعوى مدنية ضد (نبيل العزبـــي) مدير أمـــن القاهـــرة، وأمـــس تقدمت ببلاغ للنقابة ضد (الأهـــرام).. وتضـــامن معهـــا عشرات الزملاء.. هتفوا بإسمها و"جرسوا" (أحمد موسى) عضو المجلس ومُفبرك الفضيحة، الذي أمـــام إنـــتقادات الزملاء الحادة أنكر إنه يعنيها، ووعد بتكذيب ما كتبه.

شـــفافية "الفكـــر الجديد" في إستباحة الأعراض فتحت أبواب الجحيم على نظامه، فضيحة دولية وتحقيقات منظمات عالمية[٢٣]، رصـــدت كل الوقائع والأسماء، للمطالبة بمحاكمة دولية لمُنتهكي الأعـــراض، ولإعـــادة فتح ملف حقوق الإنسان في مصر، بدأت هـــيومان رايـــتس بتحمـــيل العادلي المسئولية والمطالبة بتحقيقات مُحـــايدة تمهـــيداً لمحاكمـــته، وتزامنت مع حملات إنترنت لدعوة نشـــطاء ســـلام غربيـــن كسواتر بشرية تحمي المتظاهرين من بلطجـــية "فكـــرهم".. كمـــا فعل بعضهم في قرية "سراندو" حماية للفلاحين من الإقطاع الجديد قبل شهور.. وكما يفعلون منذ سنوات بالأراضي العربية المُحتلة.

عربــياً دعـــا "تجمع الباحثات اللبنانيات "لحملات إحتجاجية تضـــامناً مع من المُعتدى عليهن. وفي القاهرة.. شكلت مجموعة من إمهات من إعتدي عليهن "رابطةالإمهات المصريات"، ودعتن لإعتــبار الأربعـــاء القـــادم يـــوم حداد عام، ترتدى فيه الملابس الســـوداء، إحـــتجاجاً على الإنتهاكات.. وللمطالبة بمحاكمة وزير الداخلية وقيادات وزارته وقادة ميليشيات (الحزن الوطني).

٢٩-٥-٢٠٠٥

هوامش

(١) رفع سمير رجب من وتيرة شتائمه للمعارضة، أقذرها ما تعلق بحادث الفنان عبدالعزيز مخيون.

(٢) إســـتغل عمـــرو بـــرنامجه (حالة حوار) لتوجيه انتقادات وصلت حد الشـــتائم للمطالبين بالإصلاح. كان مرشحا بقوة لرئاسة تحرير (الأهرام).. لكنه لم يفز بها.

(٣) ضيف دائم قبل وبعد توليه رئاسة تحرير (روزاليوسف) على البرامج التليفزيونية لتوجيه إتهامات باطلة للإصلاحيين.

(٤) كـــان بلطجـــية الوطنـــي يلوحون بـــ(أصابعهم الوسطى) لمتظاهري حـــركة(كفايـــه)، وتكررت نفس الصورة فيما بعد بمظاهرة (شبرا مصر) ونشرتها عدة صحف أمريكية ومحلية.

(٥) أعتبر بلاغ (كفايه) للنائب العام "رئيس الجمهورية" السيد محمد حسني مبارك"الجاني الأول في فضيحة هتك الأعراض"، بصفته المسئول المباشر عـــن أعمال الشرطة بكل عناصرها حسب الدستور (المادة ١٨٤، والمادة ١٤١).

(٦) يـــتمرد(سبع الليل) جندي الأمن المركزي المُغرر به، بالأداء العبقري للـــراحل (أحمد زكي)، ويطلق النار على قادته، فيما إعتبر نبوءة بأحداث الأمن المركزي عام ١٩٨٦، التي عُرض قبلها بشهور.

(٧) خضـــع نشـــر تفاصـــيل الإنتهاك لرغبة المُعتدى عليها، وإلتزمنا بما وافقت كل منهن على نشره.

(٨) قـــنديل: رئـــيس التحرير التنفيذي لجريدة(العربي) والمتحدث الرسمي بإســـم(كفايـــه). فهمي وعبدالقدوس: عضوان بمجلس نقابة الصحفيين. د. مصـــطفى: رئـــيس مركـــز بحـــوث الدول النامية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة.

(٩) مـــن الضـــحايا أيضاً: لينا الغضبان (مراسلة الجزيرة)، جيلان زيان (وكالة أنباء لوس انجلوس)، لمياء راضي (وكالة الأنباء الفرنسية).

(١٠) عـــدد الضـــحايا وفقـــاً لبلاغ حركة (كفايه) للنائب العام ٤٦ مُعتدى علـــيه، منهم "١٩"فتاة وسيدة"، وهناك شهود على عشرات أخريات فضلن الصمت.

(١١) إبنة الأديب الكبير علاء الديب.

(١٢) إبـــنة الفقيه القانوني والقيادة القومية الراحل د.عصمت سيف الدولة، ناشــطة حقوقية بارزة، من أبرز قادة الحملة الشعبية من أجل التغيير التي تأسست.

(١٣) من أبرز ناشطي مركز النديم للتأهيل النفسي لضحايا العنف.

(١٤) ممثلة شابة.

(١٥) عمل بسلك القضاء لفترة.. ثم تركه بلا أسباب معروفة.

(١٦) عضو لجنة السياسات، وأمين مساعد لجنة الحزب الوطني بالقاهرة.

(١٧) عضـــو بـــارز بالحـــزب الوطني بمنطقة السيدة زينب، إتهم رسمياً بإستئجار البلطجية.

(١٨) رجــل أعمـــال ينشط بين فريق التوريث، شوهدت أتوبيسات محملة بالـــرجال يـــوم الفضـــيحة تـــرفع لافتات تأييد لمبارك تتجول في شوارع القاهرة، يملك عدة شركات، أبرزها (الرضوى).

(١٩) تعرضـــت (شيماء وعبير) لتهديدات ممن زعموا إنتمائهم لشخصيات نـــافذة للتنازل على البلاغ، وحتى الآن لم تتحرك تحقيقات النائب العام، لا في البلاغات الشخصية من المجني عليهن، ولا في بلاغي نقابة الصحفيين وحركة (كفايه).

(٢٠) محمـــد كمـــال: المـــتحدث بإســـم لجنة السياسات، عُرف كسكرتير شخصــــي لـــــ(جمـــال) ، بـــرر ما حدث لجريدة (ليبرت) الفرنسية بأنه تعبير"عن مشاعر حماسية وإنفعال زائد لمؤيدي مبارك"(!!!).

(٢١) صـــحفية بجـــريدة (الجـــيل)، طُلقـــت بعد الحادث بأيام، وتعرضت لضغوط أمنية ومهنية للتنازل عن بلاغها.

(٢٢) تعـرض (حسين) لإعـتداء وحشـي من بلطجية الحزب الوطني بالزيـتون عقـب ظهوره على فضائية (دريم) متهماً الحزب الوطني بأنه مرتكب الجريمة.

(٢٣) أدانـت كافـة المـنظماتْ الحقوقـية المحلية والدولية جريمة هتك الأعـراض، وطالبـت بتحقيقات مُحايدة، وإلتزم بعضها بمواصلة ضغطه علـى الـنظام حـتى معاقبة المجرمين، ونظمت مظاهرات تضامنية مع الضحايا في كوريا الجنوبية، وفرنسا.. أكثر من مرة، وبلجيكا، وإستراليا. كمـا عـبرت نقابة الصحفيين البريطانية عن إلتزامها بتنظيم حملة دولية بالتعاون مع أعضاء بمجلس العموم البريطاني حتى معاقبة الجناة وإطلاق حريات الرأي والتعبير عنه بمصر.

مُحركا الخيوط

الرجل الذي لم يعد غامضاً[1]

*** أصــر على إصطحاب السيارة المُصفحة..ففشلت محاولة أديس أبابا.**

*** يديعوت: شرح بالتفصيل..لماذا لن يكون "الخليفة".**

للرئيس مبارك حفيدان..(محمد) الإسم الأكثر انتشاراً عربياً، و(عمــر).. الــذي تلقى (مبارك) خبر ميلاده اثناء عشاء للرئيس الألمانــي فــبراير ٢٠٠٠، و إتفقت أسرته على "الإسم" تعبيراً عن محبة تكنها للواء (عمر سليمان).

والعلاقة بين (سليمان ومبارك) كانت عادية في سياقها المهني حتى صيف ١٩٩٥، حدث التحول مع قمة أديس أبابا الإفريقية .. فخلال اجتماع خاص قبلها أصر (سليمان) على أن يأخذ (مبارك) معــه ســيارته المصفحة، أعرب مستشارو الخارجية عن دهشتهم لان ذلك يعني إهانة الاثيوبيين.. لكن (سليمان) تمسك برأيه. وفي الســاعة الثامنة و١٥ دقيقة صباح ٢٦ يونيو غادر الموكب مطار أديس أبابا، كان (سليمان) يجلس معه في المقعد الخلفي عندما بدأ اطــلاق رصــاص مدافع رشاشة بايدي ثلاثة مسلحين .. وانهمر

رصـــاص مـــن أســطح مـــبان مجاورة.. أمر (سليمان) السائق بـــالدوران للخلـــف، بالطـــبع ما كان لسيارة عادية أن تتحمل هذا الوابل.

أنقـــذ (ســـليمان) حياة (مبارك).. تُعلق الصحفية الامريكية (مـــاري آن ويفـــر) مُؤرخـــة لـــتطورالعلاقة، تضيف (هأرتس) الصـــهيونية – التـــي سبقت (مارى) في الإشارة للواقعة بتفاصيل أقـــل- انـــه تصرّف "بشكل بطولي" في عملية الإخلاء السريعة، ليُصبح الرجل القوي بعد (مبارك).. محل ثقته وساعده الأيمن.

(ماري) التي أغضبت أوساط السلطة المصرية بمقال لها عن محاكمة (سعدالدين ابراهيم) في (نيويورك تايمز)- يونيه٢٠٠١-، لـــم تكن أول من رصد تنامي ظهوره، فقد سبقتها تلميحات سريعة هـــنا و هناك، أكثرها وضوحاً ما كتبه (دانيال سليمان)(٢) المُحلل السياسي لـــ(هأرتس) و منظمات اللوبي بامريكا – منتصف٢٠٠١ – قـــائلاً "إتجهت انظار المراقبين الى سليمان، رئيس المخابرات مـــنذ عشر سنوات، الشخصية الأكثر قوّة، أصابعه في كلّ الأمور ويتمـــتّع بعلاقـــة قويـــة مع الرئيس. في سوريا تتناطح الرؤوس وتـــتداخل الأجهـــزة، في مصر.. رجل قوي جداً.. وحيد في هذا الحقـــل. مجهـــول نســـبياً مقارنـــة بالاخرين.. ظهرمُتأخّر على التلفزيون.. وهو يبقى غامض سياسياً".

(خـــالد الشامي) مراسل (القدس العربي) أول من توقف عند صـــعود نجمـــه عقـــب "ظهور علني آخر لرجل الظل والمهمات الصـــعبة والـــذراع الأيمـــن لمبارك، كما وصفه مُقربون، ونجاح

دبلوماســـي جديــد يضيف بُعداً مهماً الي خلفيته العسكرية وطبيعة عمله".

كانــت المناسبة مؤتمر لندن الأول للسلام الذي رعاه "رسمياً" ..(توني بلير) يناير قبل الماضي، مراسل القدس أسند لدبلوماسيين "إعجابهم بذكائه ودرايته بالشؤون الدولية رغم خلفيته العسكرية" . يضيف (الشامي).. "بعيداً عن البيروقراطية (الشهيرة) ودبلوماسية الــبروتوكولات والتصـــريحات التـــي يتولاها أحمد ماهر (وزير الخارجــية وقتها)، فان سليمان، أو الوزير في رئاسة الجمهورية كمـــا يسميه الإعلام المصري، يُمسك بالخيوط الرئيسية المُحركة للسياســـة الخارجــية لقربه من مبارك وإطلاعه علي المعلومات الحساسة ".

أجــواء أكــثر اثارة عن أول ظهور دولي له رصدها موقع muslimedia.com ، فـــ "المفاوضات رسمياً مُستضافة من قبل الإتحاد الأوربي، لكنّها عملياً مُدارة من قبل سليمان".

و فـــي ذات الســـياق كتبــت (كاروليـــن بـــي .غلـــيك) بــــ(الجوروزلـــيم بوست) (١٧-١-٢٠٠٣)، "ضيف شرّف قمّة لـــندن كـــان عمـــر سليمان. الذي إشتهر برعاية لقاءات الفصائل الفلســـطينية في القاهرة بدعم الإتحاد الأوروبي، جاء إلى الإجتماع مُتوّجاً.. كان العقل المُوجّه للمحادثات".

حـــتى فترة قصيرة لم يكن معظم المصريين يعرفون من هو مديـــر مخابراتهم، في يونيو ٢٠٠٠ بعد خمس سنوات من محاولة أديس أبابا، وفي أول ظهور علني له سار بوقار الى جانب مبارك و الزعماء العرب فى جنازة الأسد الأب . وتوالى ظهوره النسبي

حـــتى ان بـــي بي سي رأت في ٢٤-١١-٢٠٠١ ان "رئيس أمن مصر، تخلى عن دوره الغامض ". تقول (ماري ويفر) في مقالها اكتوبر قبل الماضي بـــ(اتلانتك مونثلي).. "بقي لسنوات هادئاً فى الظـــل.. وبشكل غريب بدأ يظهر للعيان.. ظهوره كان أشد غرابة لانه تزامن مع ظهور جمال مبارك".

ولـــد (عمـــر محمود سليمان) عام ١٩٣٥في قنا، فيها درس ومـــنها توجـــه للقاهرة عام ١٩٥٤وعمره ١٩ عاماً ليلتحق بالكلية الحربـــية، بعـــد تخرجه أرسله عبد الناصر للحصول على تدريب مُـــتقدم فـــى أكاديمية فرونز العسكرية بموسكو. و "تربى"-التعبير لماري- في الحروب العربية الاسرائلية. مُنتصف الثمانينيات أثبت تفوقـــه كخبـــير إســـتراتيجي عســـكري وحصـــل علـــى درجتي الـــبكالوريوس والماجســـتير في العلوم السياسية من جامعتي عين شمس والقاهرة ، بعدها تولى ادارة المخابرات الحربية .

المعلومـــات عـــن "رجل الظل الغامض" شحيحة جدا.. موقع www.presidency.gov.eg/html/the_cabinet.html فـــي تقديمـــه للمسؤلين الحكوميين بمصر يورده - قبل ثلاث سنوات- الـــرابع بعـــد رئـــيس الوزراء و وزيري الداخلية والدفاع، نفس التراتبـــية نجدهـــا في (EGYPT FACT FILE) الذي يبدو انه ترتيب رسمي لـــ "الإشراف السياسي". موقع القرار العربي، الذي يورد سير شخصية موثقة لألاف الشخصيات العربية، إكتفي بذكر إسمه و الميلاد في مصر و صفته كمدير للمخابرات العامة.. هذه الصـــفة ســـنلحظ علـــيها اختلافات طفيفة في مقال أو تقرير ممن يـــتابعون تطـــورات مصـــر لاخـــيرة.. أكـــثر من كاتب-خاصة

الاسـرائيلين- يشيرون لثقافته القانونية مما يعني دراسته للقانون، كـتابات تصـفه بالوزير في رئاسة الجمهورية و اخرى برئيس مجلـس الامـن القومـي او رئيس جهاز الاستخبارات المركزية المصرية.. وفي المقال ما يوحي بانها غير المخابرات العامة.

و بعـيداً عن تلميح (ماري) لتزامن ظهوره العلني مع بروز (جمـال)، إرتـبط تـأكل الغمـوض حوله بتسلمه ملف القضية الفلسـطينية.. خاصـة فـي ظل غياب السفير المصري عن (تل الربـيع) المُحـتلة.. فلا نكاد نلتقط إسمه "إعلامياً" بعيداً عن هذا الملـف. و ينسـب) خـالد الشـامي) لمسؤول امني فلسطيني ان "المخابـرات المصـرية ورئيسها يتعاملان مع القضية من منطلق وطني وقومي وبحرفية عالية تثير الإعجاب" .

هـذه الحرفـية اثـارت عليه الاسرائيلين غالباً.. و فصائل فلسـطينية نـادراً، فـنجد هجومـاً علـى رحلاته بعد كل عملية إستشهادية كما كتب (غيء باخور) في (يديعوت) ٢٠-٦-٢٠٠٢، وتكـررت ذات النـبرة أكثر من مرة، منها تأكيد (سمدار بيري) ايضـا فـي (يديعـوت) ١٧-١٠-٢٠٠٣ ان "الجـنرال وزيـر الاسـتخبارات، لـم يعـد ضـيفاً مـرغوباً في القدس"، ولم تبلغ الإنـتقادات مداهـا نوفمـبر ٢٠٠٣ بالمطالبة بمنع تدخل مصر "المُعـادي"، فموقع (ديبكا) الصهيوني الذي يديره ضابط الموساد (جيـبورا شميث)، شن عليه هجوماً حاداً ٢٣ يوليو ٢٠٠٣، فبعد سلسـلة أكاذيب، ينتقد تجميع الفصائل الفللسطينية و إستعادة مصر لدورها المؤثر في الصراع.. ويُلمح إلى دوره في تقارب متوقع – لـم يـتحقق- مـع ايـران.. ونجاح- ايضاً لم يتحقق- في اقناع

واشنطن بتعامل مباشر مع حماس. وفي المقابل تؤكد (هأرتس) ٨-٧-٢٠٠٢ انهــم يــتعاملون معـــه.. "كتائــب و ان لم يُعين في المنصــب رسمياً". غير ان (يديعوت) وعقب نفي مبارك توريث نجلــه تــنقل في ٥-١-٢٠٠٤ عن أحد قادة الموساد أقام علاقات وثــيقة وحمــيمة مع (سليمان)، أنه تحدث معه مرات عن "فرصه للوقــوف علــي رأس الهــرم". وان (سليمان) لم يكتف بالنفي بل "شــرح لــي بالتفاصــيل لماذا هو غير معني ولماذا لن يكون هو الخليفة ".

على الضفة الأخرى.. إنتقدته (حماس) مرة وحيدة علناً على لســان (الشهيد الرنتيسي)، لكنها وفقاً لتقييم كثيرين، منهم (مهيب النواتي) خبير شئون الحركات الإسلامية في٣١-٨-٢٠٠٣ ، فأن (حمــاس) بلغــت ذروة تفاهمهــا مع مصر بعد إمساكه بالملف.. تنصــت قيادتها له بمن فيهم (الرنتيسي).. بل وتلجأ اليه علناً كما فعلــت اثناء خلاف لها مع (حركة فتح). فهو بالنسبة للفلسطينيين كما مصدر لــ(خالد الشامي).. "يمثل قوة رئيسية في قاطرة سلام نفــد بخارها منذ تلاحم قوي الشر.. بوش وشارون".. وهو أيضا الحكم بين الفصائل.. وأحياناً داخل كل منها.

أمريكياً.. تذكر (ماري) انه كان اثناء حرب الخليج الثانية - ١٩٩١ - مديــرا للمخابــرات الحربية. وتنسب لمسؤول أمريكي عمــل معــه لســنوات "سباقاً بالمبادرة، مُعتدل ومُهذب وله خبرة طويلــة، مقبول من رجال الأعمال، لكن عدداً قليلاً للغاية يعرف أراءه السياســية، سنشــعر بالــراحة فى التعامل معه على المدى البعــيد". مواطــنها (جــوردن تومــاس) يؤكد في تحليل له بثته

(جلوب-أنتل) انه في ٢١-٦-٢٠٠٢ "قبل ٨ أيام من هجمات ١١ سبتمبر، أخبر (سليمان) رئيس محطة الـ"سي آي أيه" في القاهرة، أن مصدراً موثوقاً أخبره بأن شبكة أسامة بن لادن في مراحل متقدمة من تنفيذ عملية مهمة ضد أهداف أمريكية".(نيوزويك) رغم تأكيدها انه" يلعب دور حيوي في الحرب السرية ضدّ القاعدة" و انه"ودود في مجال غير ودود"، تشن هجوماً عليه مماثلاً لهجوم(ديبكا)، مُعبرة عن ضيقها من إنصات (الزعيم الفلسطيني الراحل)عرفات و الفلسطينين له.

في سعيها لكتابة تقريرها المطول إلتقت (ماري) بزملاء رحلته "المهنية"، منهم لواء متقاعد تلقى تدريبه معه في "فرونز" السوفيتية.. يقول "إستدعانا (جمال)عبد الناصر، طلب منا شيئاً واحداً .. أن نعود معادين للشيوعية، هذا ما فعله سليمان".

ويبدو ان نشاطه "الخارجي" كان وراء أول ترشيح سياسي له، إذ طرحه البعض خليفةً لـ(عمرو موسى) في للخارجية.. حتى ان إسمه سبق (أحمد ماهر). غير ان ترشيحه للخارجية كان مجرد"حرف" في كتاب ترشيحات تركز على منصب النائب منذ أكثر عامين، منها تأكيد (ضياء رشوان) الباحث المعروف بمركز الأهرام لهيئة الإذاعة البريطانية في ٩-١-٢٠٠٤ "أن الجيش إستقر فعلاً على مرشحه للرئاسة".. وعندما سألته المذيعة تقصد بالطبع (السيد عمر سليمان)، إستدرك (رشوان).. "لا أتحدث عن أسماء، ثم مكرراً.."الجيش إستقر فعلاً على مرشحه للرئاسة". كان (رشوان) يُعلق على مداخلة ساخنة ضمت الزميل (عبدالحليم قنديل) في جانب.. و(مكرم محمد أحمد) و(عبدالمنعم سعيد) في

جانــب أخر، حول تفجير (العربي) لقضية التوريث و نفي مبارك لها.

ترشــيح (ســليمان) وقــتها للخارجية جاء على خلفية توليه الملــف الفســطيني، غير أن نشاطه لم يقتصر على ملف الصراع العربــي الصهيوني، ففي نفس عدد (هآرتس) يصفه مصدر مُطلع بانــه "لا يمسك بأطراف الخيوط في مصر، بل بأطراف الحبال ". و في تقريرلــ(الأسوشيتد بريس) ٢٠-١١-٢٠٠٣ تأكيد على ان "الرئيس المؤثر لدوائر الإستخبارات إرتفع بشكل مثير، بدأ يتعامل مــع قضايا حسّاسة مثل النزاع العربي الإسرائيلي والعلاقات مع الولايــات المــتّحدة والعراق"، وعلى "خبرته الواسعة في الشؤون الداخلــية والخارجــية ". و تصفه (نيوزويك) بــ"السّيد فيكسيت، يعــالج المشاكل في اليمن وليبيا والسودان التي تؤثّر على مصالح القاهرة" .. بالبلدي "حلال مشاكل"، و تنسب اليه انه "مهّد الطريق لزيارة مبارك الأولى إلى الخرطوم بعد ١٤ سنة".

داخلياً.. (هآرتس) ترجع لجهازه "الهدوء النسبي في الاعمال الارهابــية لمنظمتــي الجهاد والجماعة الاسلامية"، مُسندة تقييمها لـــ(موردخــاي كــيدار)المُستشرق بجامعة (بار ايلان). و تنقل (مــاري ويفــر) عن أحد مساعدي مبارك أنه الشخصية الرئيسية وراء كواليس تراجع الجماعة.. الذي أنجز اعلان الهدنة في وقت لاحــق. تضــيف (ويفــر): سألت منتصرَ الزيات عن موقفه من الإسلاميين؟. لم يعطني جواباً على الفور، ثم قال: أحياناً يقف مع المُتشــددين.. وفي أحيان أخرى يكون معتدلاً، إعترض دائماً على تعذيــب الإسلاميين لانه أدرك أن التعذيب يهزم نفسه فى النهاية،

يـــريد احـــتوائهم دون مكاســـب كبيرة.. حاضرين و لهم مساحة سياســية، بعــبارة أخـــرى، يـــرى السماح لعدد محدود بخوض الانتخابات كجزء من العملية ما داموا مُلتزمين بقواعد اللعبة .

و تـــتفق (ماري) في تقريرها مع (غسان الامام) في (الشرق الأوســـط) ٢٥-١١-٢٠٠٣ علـــى انـــه وراء تجاوز النظام فترة ســقوط بغـــداد بسلام، مُنبهة إلى أن (مبارك) يقضي وقتا أطول معـــه. فحســـب لواء متقاعد "يخبره بكل شيء، فبعد ٢٢ عاماً لا تقـــول القيادات المُسنة المُحيطة بالرئيس الا ما يريد أن يسمعه.. لكن سليمان يقول له ما حدث بالضبط ".

طبـــيعة دوره لا تســـمح -غالباً- بمعرفة ما حدث بالضبط.. مـــثلاً يـــتردد القلـــيل عن دوره وجهازه في القضاء على مخطط لترســـيخ إدمان الهيروين في مصر قبل سنوات، و عن نصيحته" الـــتعامل بحكمة مع "تجاوزات" مظاهرات بورسعيد، و مع المدينة عامـــة مقابل توجه "عائلي" رأى وقتها قمعها بعنف، وعن إشرافه علـــى تسليم ملف (كمال الجنزوري) الشائك لـــ(عاطف عبيد)، ثم من الأخير لـــ(أحمد نظيف).

و "مـــا يتردد" لا يُطرح علانية، لذا لم يكن مرتاحاً فى البداية لـــدوره "العلنـــي" الجديد ، لـــ(ماري ويفر) يوضح أحد أصدقاءه" كرجل مخابرات إعتاد العمل في الظل، من الصعب أن يقف على مســـرح غـــير عســـكري ويُلقـــي خطاباً، لا تشغله جاذبية رجل السياســـة، لا يـــنافق وليس جامداً في نفس الوقت.. تعاملت معه لسنوات وسمعته يقول للقيادات العُليا هذا خطأ وهذا صواب، حتى لـــو كانت اراؤه لا تلقى شعبية". لكن (سليمان) بعد أقل من ثلاث

سـنوات مـن مقـال (مـاري) ألقـى خطابه في حوار الفصائل الفلسطينية الأخير،ليجدد جدل ترشيحه لـ"النائب".

تضيف (ماري): لمعرفة المزيد عن صورته العامة الجديدة سـألت ناشـر جـريدة (كايرو تايمز) .. (هشام قاسم) -العضو المنتدب للمصري اليوم الأن-، أشار الى صورتين تم تكبيرهما له مُعلقتيـن على الحائط وراءه، الأولى في (كايرو تايمز) قبل أشهر والثانـية فـي الصـحف الحكومية، في (كايرو) ملامحه صارمة وصـلبة .. يقف الى جوار (عرفات) مُنزعجاً من تطفل الكاميرا، فـي الثانـية الرسـمية التى أُلتقطت في الوقت نفسه، يبدو ودوداً بدرجـة أكـبر.. تلمـع عيـناه وعلى وجهه شبه إبتسامة.. أكثر استرخاءً، ويبدو (عرفات) متضائلاً في وجود اللواء القوي.

(مـاري) مع تأكيدها ان "اللعبة السياسية لا تجري في دماء سليمان"، رأت انه يذكرها بالسادات "طويل ونحيف، له ملامح أهل الصعيد والنوبة كما السادات ،بشرته شديدة السمار وقسمات وجهه لا توحـي بـالهم كما معظم المصريين، شعره داكن.. شبه أصلع الأن ويعوض الصُلع شارب رمادي داكن".

و لـــ(غسـان الإمام) بـ(الشرق الأوسط) تشبيه اخر، ففي تعليقه على أزمة (مبارك) الصحية بمجلس الشعب يرى ان إنجازه هو استقرار مصر ٢٢ عاماً..و"لم يتورط في مغامرات (الزعامة الملهمــة) لدى سلفيه".. واصفاً (سليمان) بانه "نسخة طبق الأصل من رئيسه في تعقله وحذره وفهمه للسياسة العربية".

٢٠-٣-٢٠٠٥

الهوامش

(١) نُشر على عدة مواقع بشبكة الإنترنت يناير ٢٠٠٤.

(٢) مهتم بالشأن المصري، له دراسة هامة عن قضية الخلافة في مصر.(وثائق).

دولة سوزان مبارك

"كـــان أقصى أحلامي أن اكون سفيراً في بلد الإكسلانسات".. تعبـــير عفوي لـــ(مبارك) في (كلمتي للتاريخ)[١]. بالتأكيد للتعبير دلالـــته النفســـية.. وبالتأكـــيد يكشف عن رؤيته للآخرين.. أفراداً ودولاً.. ما يهمنا الان هم الأفراد.

ولـــد(محمد حسني مبارك) في قرية (كفر المصيلحة[٢]) لأب بســـيط كما أغلب أباءنا، يعمل موظفاً بقلم المحضرين، وتعلم كما معظـــم أبناء قريته تحت "رعاية"(عبدالعزيز باشا فهمي[٣])، الذي "رعى قريته" لدرجة دفعت كثيرين لوصفها بـــ"كفر باريس".

تـــزوج (محمد حسني مبارك) من (سوزان صفوت ثابت[٤]) إبـــنة الطبيب المصري والممرضة "الويلزية"التي تحمل جنسية"بلد الإكسلانسات".. ومنها أنجب (علاء وجمال).

مـــنذ بدايات تسرب سيناريوهات "التوريث" أدرك الجميع أن "الأم" هي التي تقف بقوة وراءه، ولايدري أحد متى تبلورت الفكرة فـــي ذهـــنها؟. هل مع توريث (بشار)[٥] سوريا.. فجاء تعبير "ما حـــدش أحسن من أبني".. أم في مرحلة أسبق بعد محاولة إغتيال أديـــس أباباً، عندما ظهر لـــ"العيلة" والمحيطين بها إمكانية فقدان

السلطة والنفوذ، فإقترح أحد "المُجاملين".. (تجهيز جيمي) كما ينادونه في الأسرة وبين الأصدقاء ليخلف والده.. لن نستطيع الإجابة.

كما لم نستطع ان نمسك بإجابة مُحددة من "حكايات" مُتعددة لـ"لماذا جمال الأصغر وليس علاء الأكبر؟". .. بالتأكيد من إقترح(جيمي) يعرف "الخريطة الداخلية للعيلة". فـ"هي" في حوار مع (نص الدنيا) أول مارس ٢٠٠٤ ، تردد"جمال إتصل".."جمال قال".. كانت تتحدث عن مواقف وحوادث لفترة زمنية تغطي عشر سنوات دون أن يرد ذكر لـ(علاء).

ولأننا لسنا في "بلد الإكسلانسات" حيث الشفافية، لن يكون أمامنا إلا الإعتماد على" ما تردد.. وما تسرب"، منها ان "الأب" صمد في البداية ضد رغبة "الأم"، مُحذراً من أن"البلد تقيلة وخربانة.. وأخاف عليه من تقلباتها".

"الأم" التي تصف نفسها في حوار(نص الدنيا) ، الذي بثته هيئة الإستعلامات للدنيا كلها، بـ"انها شخصية قوية للغاية تعرف بالضبط ما تريد". أكملت مسيرتها "التوريثية"، وضاعفت نفوذها مرات، لتتجاوز (جيهان السادات) بمراحل، وليصبح لها حصة دائمة التزايد في الوزارات والمناصب القيادية، وبدأنا نسمع عن ان هذا الوزير "تبع الهانم"- "الهانم"مُفردة متداولة"فوق" ولا نقصد بها أي إساءة-، كان منهم وزيرا الصحة والتربية والتعليم[٦]، ومازال منهم وزراء الداخلية والثقافة والإعلام والإسكان ورئيس المجلس الأعلى للثقافة والرئيس الجديد"جدا" لهيئة سوق المال.. و(ماجد الشربيني)[٧]..إلخ..(هذا غير نصيب الأبن).. فالقائمة

طويلـــة، خاصـــة بعـــد ان ادرك "المشتاقون" ان هناك باباً ملكياً للســلطة وللحصـــول علـــى"قرارات" الأب ورضا الإبن، ليصبح لــــ"الأم/الإبـــن" سيطرة كاملة علي الإعلام والأمن وحركة المال والــتجارة والنشـــاط الاقتصادي، وبرامج المساعدات والتوكيلات الأجنبـــية. وبالطبع هناك أخرين، رجال وأجهزة لا نعلمهم.. لهم مهام "قد" نعرفها ونرى أثرها، كما مع (عبدالحليم قنديل)[٨].

أصـــبح لــــ"الأم" حزمة مناصب ومؤسسات.. تتسع وتتسع، بعضـــها يُوصـــف مـــن قـــبل "المُجامليـــن" بــــ"الدولي".. مثل جمعيات"السلام".. وتحديداً (حركة سوزان مبارك الدولية للسلام)، التي تتعاون بشكل خاص-حسب ترجمة الزميل محمد عبود- مع (معهد فان لير) لأنشطة السلام الذي أنشأ لتنشيط اتفاقيات التطبيع الثقافـــي بعـــد كامب ديفيد.(حركة سوزان مبارك) حولتها مزاعم "المُجامليـــن" مؤخـــراً إلـــى وســـيلة مُتخيلة للحصول على"نوبل للســلام"!!. مـــع الإســتعانة بمواقع إنترنت بالعربية والإنجليزية للتعريف بها وبإنجازاتها.

"الأم" لا تخفي تأثيرها"الداخلي/العائلي" تقول في حوار (نص الدنـــيا).. «عـــندما نعرض عليه موضوعاً (تقصد مبارك) يقول: أدرســـوه وبعدين قولي لي. أقول له إجتمعنا وعملنا، يقول: طيب خـــلاص، ثـــم يبدأ إتصالاته بنفسه ليصل إلى رأيه الخاص، هذه طريقته».

هـــذا التأثير يروج له البعض في الخارج، لإظهار"الأم/الأبن" بوصـــفهما قاطـــرة الإصـــلاح، عبر حملة لا ندري من يتحملها، مدعومة من منظري "النيوليبر" في مصر، حتى ان الكاتب اللبناني

المعـــروف (جهـــاد الخـــازن)[٩]-ضيف العيلة كلما جاء القاهرة- يصـــف "الأم" فـــي برنامج (من واشنطن) على (فضائية الجزيرة) بـــــ"الدولـــة". حرفـــياً يقول(٣-٤-٢٠٠٥).." أتحدث عن السيدة ســـوزان مـــبارك عندها تأثير على الحركة الإصلاحية في مصر أكثر بكثير من جورج بوش.. أي دولة ثانية عندك."، (الخازن) لا ينسى "النصف الثاني من السلطة" مؤكداً ان "الإصلاح الاقتصادي سببه جمال مبارك".

الـــتداخل بيـــن نفـــوذ "الأم"،التـــي كثيراً ما تصفها الصحافة البريطانـــية بـــــ"النصـــف ويلزية"، وبين نفوذ"الأبن" كما الأواني المُســـتطرقة.. كل منهما يؤدي للأخر، داخلياً ..و"خارجياً"، فالأبن شـــد الـــرحال فور تخرجه - نقول"فور"- إلى "بلد الإكسلانسات"، لـــــ"يكـــون نفسه". يقول "الأب" عنه في حديث مع (مكرم محمد أحمـــد) بـــ(المصور) بمناسبة اقتراب إستفتاء ١٩٩٣.. "يعمل فى بـــنك بانجلـــترا وشارك فى شراء وبيع ديون مصر، وحقق البنك الذى يعمل به أرباحا من وراء ذلك". وحسب مواقع إنترنت عديدة فان (مكرم) "فاته" التفريق بين ما يُنشر وما لا يُنشر.. فنشر.

في "بلد الإكسلانسات".. كون (جيمي) نفسه مالياً، و"تردد" انه "عُولـــج" هناك مع إبن رئيس مجلس إدارة مؤسسة صحفية قومية وثالـــث إبن لرجل أعمال شهير أيام السادات. وهناك أيضاً تربى سياســـياً علـــى أيـــدي منظر "النيوليبر".. (بيتر ماندلسون) عضو الـــبرلمان البريطانـــي الـــذى أعاد تشكيل (حزب العمال) و(تونى بلير). ويصف الزميل (مجدي حسين) أمين حزب العمل "المُجمد"

وفقاً لمصدر مصري-بريطاني(ماندلسون) بـ"انه يهودى معروف بتأييده ودعمه لاسرائيل. أُجبر على الاستقالة من الوزارة مرتين لاتهامات بالفساد المالى، ورغم أن(ماندلسون) صديق حميم لـ(بلير) الا أن الأخير لم يستطع الدفاع عنه أو ابقاءه فى الوزارة". ويصف المصدر سلوك(ماندلسون) الشخصى بأنه(..)يتحرك علناً مع"صديقه".

إنتهت فترة"التكوين" وعاد (جيمي) لتبدأ أولى محاولات التوريث نهاية التسعينيات، فصدر "كما تردد" تلبية لرغبة "الأم" قراراً بتعيينه مستشاراً إقتصادياً برئاسة الجمهورية بدرجة وزير، تلاه إقتراح من أحد "المُجاملين" على "الأم" بتكوين (حزب المستقبل)(١٠) ليـنافس حزب "الأب" وليكون "توريث" السلطة طبيعياً وديمقراطياً، على أن يضُم أسماء "شابة" من تيارات مختلفة للحصول على تأييدهم وحيادهم.. وللمساعدة في تخفيف إعتراضات "الأب" و"حرسه" الذي سيوصف بـ" القديم" بعد عامين فقط.

ومع فشل المحاولة الاولى، إقترح البعض -برضه- على"الأم" إقناع "الأب" السماح لـ"الإبن" بالصعود عبر الحزب الحاكم.. ولم يمنع إقتناع "الأب" إتخاذه "فرملات" واهنة أحياناً.. حاسمة أحياناً، لقطار التوريث تلبية لطلبات مؤسسات وطنية، لكن"الفرملات"سرعان ما تختفي.. رغم إستمرار "الخلاف العائلي" حول "رتم" سيناريو التوريث.. "رتمه" فقط.

إنطلق سيناريو "التصعيد من الداخل" تحت شعار"الفكر الجديد"، وللحصول على "غطاء مرجعي وخارجي" له، توجه

(جيمـــي) فـــي أولـــى زياراتـــه "الرســـمية" للخـــارج.. إلى "بلد الإكسلانســـات".. إلـــى مُنظر النيوليبر (بيتر ماندلسون)، إلتقى به مُجـــدداً وبقيادات حزب العمال، ضمن ما وصفه (جيمي) بـــ"لجنة مُنتدبة" من الحزب الوطني لمناقشة الأفكار الإصلاحية. ونقرأ في كـــتاب جهـــاد عودة (جمال مبارك.تجديد الليبرالية الوطنية)[١١] الذي هاجم "ديكتاتورية الأب" بقسوة وبشر بـــ"الإبن"، أن (جيمي) أكد لمُنظري "النيوليبر".. "أنهم"- لم يحدد من هم- "عندما نتوصل إلـــى إقتـــناع يصـــبح إقتناعنا جميعاً".. ومنبهاً إلى أن"أي تطور مُستقبلي يجب أن يكون مرتبطاً بقرار دستوري"(!!).

كـــان اللقاء في نوفمبر ٢٠٠٢ وإستمع "الوفد الرسمي" الذي ضـــم (محمـــود محي الدين[١٢] وحوت الحديد أحمد عز[١٣]) إلى نصـــائح "النيوليـــبر" لتغيـــير الصـــورة القديمة للحزب وعصرنة أســـاليبه. اللقاء سبقه بشهر واحد لقاء منفرد لـــ(جيمي) مع (جاك سترو) وزير خارجية "الإكسلانسات".. وفي أعقابه تسربت أقاويل مـــن مجلس العموم عن تصعيد تدريجي لـــ(جيمي).. مدعوم من المملكـــة المتحدة.. تحديداً في واشنطن(بعد أشهر ستنتقل الرحلات كلها إلى واشنطن). ومع التسريبات بدأت حملة مصريين بالخارج ضـــد الســـيناريو.. وإلتقطـــتها "العربي" لتنفرد بفضح السيناريو ومعارضته منذ ديسمبر ٢٠٠٢، قبل أن يلتحق بها أخرون.

وقتها قيل، ضمن ماقيل، أن حملة (العربي) وجرأتها مدعومة من "الأب" نفسه، لمساعدته في حسم "الخلاف العائلي"، بعدها تبين أن الإشـــاعة "الملونـــة" صدرت عن مُنظري (جيمي) في مركز

الدراسات بالأهرام، الذين حذروا من أن "الأم" غاضبة على (العربي).. وأن على الجريدة ان تنتظر العقاب[١٤].

بعيداً عن عقاب (العربي).. (وأخرون لا نعلمهم)، إستمر قطار التوريث و"توحش"، ولم يُحسم "الخلاف العائلي، ففي ١١-٩-٢٠٠٤ نقرأ للكاتب المصري محمد عبدالحكم دياب في جريدة (القدس العربي) عن" تصاعد الصراع داخل الأسرة لحد خطير"، مستشهداً بأنه عندما "أصدر مبارك قرارا بتعيين مسؤول أمني كبير نائبا له، أغسطس٢٠٠٤ ،(..) ولحظة تسليمه إلي رئيس ديوان الرئاسة، انقضت السيدة سوزان حرم الرئيس بانفعال شديد وأمسكت بالقرار ومزقته".

و"مايتردد" في هذا السياق كثير جداً.. بعضه يبدو مبالغاً فيه،لكن ليس من المبالغ فيه.. أن الخلاف"الأن" دائر وبشدة على إسم النائب، "الأب" يراه من "المؤسسة الوطنية" للمحافظة على ما تبقى من تماسك للسلطة.. و"الأم" تراه (أحمد نظيف) لتضمن إكمال سيناريو التوريث.

فلم يكن ما نشرته (الصاندي تايمز) أول الشهر الماضي عن"ضغوط الأم" سوى رأس جبل الخلافات، على جانب "الأم /الأبن/ رجال الفكر الجديد". وعلى الثاني "الأب"..أحياناً، مدفوعاً بضغوط مؤسسات وطنية.. كما حدث عند إقرار قانون إنتخابات الرئاسة بدون النص المانع لترشيح مزدوجي الجنسية والهاربين من الجيش، إذ "تردد" أن المؤسسة الوطنية لم تقبل بأن يكون"قائدها الأعلى" هاربا من الجيش.. ولم يكن أمام قطار التوريث سوى أن يتراجع مؤقتاً بعد ان "فوجئ" أن هناك

"قــوى أخرى" في البلد. فــ"الأم/الإبن" لا يريان "الشارع" أصلاً، معــتقدان أن ســاعة الجــد .. تلمــه عساكر (العادلي) أو رجال (ماجد الشربيني).

٣-٧-٢٠٠٥

هوامش

(١) العبارة جاءت تعبيراً عن أقصى ما كان يتوقع ان يتولاه من قبل (السادات) عندما طلب حضوره للقصر الجمهوري بصفة رسمية. (كلمتي للتاريخ) برنامج دعائي قدمه (عماد أديب) وبثه التليفزيون المصري على ثلاث حلقات، وإعتبره كثيرون تدشيناً لحملة مبارك الإنتخابية، لكن ردود الفعل عليه جاءت عكسية تماماً.

(٢) من قرى مركز أشمون منوفية.

(٣) من أبرز قادة ثورة ١٩١٩، ومن أبرز رجال القانون والقضاء في مصر.

(٤) ولدت بالمنيا وإنتقلت مع أسرتها فيما بعد إلى مصر الجديدة، لها أخ وحيد(منير)، كان تلميذاً لمبارك بمدرسة الطيران.

(٥) خلف والده حافظ الأسد في قيادة سوريا في شهر يوليو ٢٠٠٠.

(٦) د.إسماعيل سلام ود.حسين كامل بهاء الدين.

(٧) عمل بسلك القضاء، ووجهت ضده بلاغات رسميةً بالإشراف على جريمة هتك الأعراض يوم الأربعاء الأسود.

(٨) تعرض (قنديل)، رئيس التحرير التنفيذي لـ(العربي) والمتحدث الرسمي بإسم حركة (كفايه)، للإختطاف ولإعتداء وحشي في صحراء المُقطم أول نوفمبر ٢٠٠٤، وقال له خاطفوه: "عشان تبطل تتكلم على أسيادك". وحتى الآن لم ينته التحقيق في الجريمة.

(٩) أول رئيس تحرير لجريدة (الحياة) اللندنية بعد سيطرة أحد أفرع أسرة آل سعود عليها.

(١٠) تسـربت أنـباء عـنه نهاية ١٩٩٨، وحسب "زعيم حزب"، جرت إتصـالات معه وقتها، أن جزء من إجتماعات مناقشة الفكرة كانت بمكتب أحد النقباء البارزين الحاليين.

(١١) رقم"٤٩" من سلسلة كتاب الحرية.

(١٢) عضـو هيـئة مكتـب امانـة السياسات،حاصل على الدكتوراه في اقتصـاديات الـتمويل مـن جامعـة ووريك بإنجلترا عام ١٩٩٥، كفاءة إقتصـادية لا تُنكر، لكن رحلة صعوده السياسي إرتبطت بعلاقته الشخصية بـــ(جمال)، أخرها "تأسيس" وزارة للإستثمار وفقاً للصلاحيات التي رأها هو.

(١٣) صـديق شخصـي لـ(جمال)، عضو هيئة مكتب امانة السياسات، رئيس لجنة الحفاظ علي الأرض الزراعية بالحزب الوطني، أمين العضوية بالحزب.. وهو منصب إقتطع معظم نفوذ (كمال الشاذلي) الحزبي، ترأس أمانـة الحـزب بمدينة السادات وجمعية المستثمرين فيها، عضو المجلس الرئاسـي المصـري الأمريكـي، رئـيس لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشـعب. مواقعـه داخـل الحزب ساعدته في اقتراض مئات الملايين من البـنوك ليشتري شركة الدخيلة للاسمنت ليرأس مجلس إدارتها مع مجلس ادارة شـركته الخاصة (عز لحديد التسليح) ليحتكر ٦٥% من إنتاج حديد مصر.

وثائق

كلمة صنع الله ابراهيم برفض جائزة الرواية من

لست قادراً على مجاراة الدكتور جابر عصفور في قدرته على الارتجال ولهذا فقد سطرت بسرعة كلمة قصيرة أعبر بها عن مشاعري.

وصدقوني إذا قلت إني لم أتوقع أبداً هذا التكريم، كما أني لم أسع يوماً للحصول عليه، فهناك من هم أجدر مني به، بعضهم لم يعد بيننا مثل (غالب هلسا) الأردني و(عبد الحكيم قاسم) المصري و(مطيع دماج) اليمني و(عبد العزيز مشري) السعودي و(هاني الراغب) السوري، والبعض الآخر مازال يمتعنا بإبداعه، مثل (الطاهر وطار) و(إدوارد الخراط) و(إبراهيم الكوني) و(محمد البساطي) و(سحر خليفة) و(بهاء طاهر) و(رضوى عاشور) و(حنا مينة) و(جمال الغيطاني) و(إلياس خوري) و(إبراهيم أصلان) و(جميل عطية إبراهيم) و(خيري شلبي) و(فؤاد التكرلي) و(خيري الذهبي)، وكثيرين غيرهم.

لقد جرى اختياري من قبل أساتذة أجلاء ورواد للإبداع، يمثلون الأمة، التي أصبح حاضرها ومستقبلها في مهب الريح، وعلى رأسهم أستاذي (محمود أمين العالم) الذي زاملته في السجن وتعلمت على يديه وأيدي رفاقه قيم الوطنية الحقة والعدالة والتقدم. وهذا الاختيار يثبت أن العمل الجاد المثابر يجد التقدير المناسب،

دون مـا حاجـة إلى علاقات عامة أو تنازلات مبدئية أو مداهنة للمؤسسـة الرسـمية، التـي حرصـت دائماً على الابتعاد عنها. علـى أن لهذا الاختيار قيمة أخرى هامة، فهو يمثل تقويما لمنهج في الإبداع، اشتبك دائماً مع الهموم الآنية للفرد والوطن والأمة.

إنـه قدر الكاتب العربي، فليس بوسعه أن يتجاهل ما يجري من حوله، وأن يغض الطرف عن المهانة التي تتعرض لها الأمة من المحيط للخليج، وعن القهر والفساد، وعن العربدة الإسرائيلية والاحـتلال الأمريكـي والـتواطؤ المزري للأنظمة والحكومات العربية في كل ما يحدث.

في هذه اللحظة التي نجتمع فيها هنا تجتاح القوات الإسرائيلية ما تبقى من الأراضي الفلسطينية، وتقتل النساء الحوامل والأطفال وتشـرد الآلاف، وتـنفذ بدقة منهجية واضحة خطة لإبادة الشعب الفلسطيني وتهجيره من أرضه.

لكـن العواصـم العربية تستقبل زعماء إسرائيل بالأحضان، وعلـى بعد خطوات من هنا يقيم السفير الإسرائيلي في طمأنينة، وعلى بعد خطوات أخرى يحتل السفير الأمريكي حياً بأكمله، بينما ينتشر جنوده في كل ركن من أركان الوطن الذي كان عربياً.

ولا يراودني شك في أن كل مصري هنا يدرك حجم الكارثة المحيقة بوطننا، وهي لا تقتصر على التهديد العسكري الإسرائيلي الفعلـي لحدودنـا الشرقية، ولا على الإملاءات الأمريكية، وعلى العجز الذي يتبدى في سياسة حكومتنا الخارجية، إنما تمتد إلى كل مناحي حياتنا.

لــم يعد لدينا مسرح أو سينما، أو بحث علمي أو تعليم، لدينا فقط مهرجانات ومؤتمرات، وصندوق أكاذيب. لم تعد لدينا صناعة أو زراعــة أو صحة أو تعليم أو عدل. تفشى الفساد والنهب، ومن يعترض يتعرض للامتهان وللضرب والتعذيب.

انتزعــت القلة المستغلة منا الروح في الواقع المرعب، وفى ظــل هذا الواقع لا يستطيع الكاتب أن يغمض عينيه أو يصمت لا يستطيع أن يتخلى عن مسؤوليته.

لــن أطالبكم بإصدار بيان يستنكر ويشجب فلم يعد هذا يجدي لن أطالبكم بشيء فأنتم أدرى مني بما يجب عمله. كل ما أستطيعه هو أن أشكر مرة أخرى أساتذتي الأجلاء الذين شرفوني باختياري للجائزة وأعلن اعتذاري عن عدم قبولها لأنها صادرة عن حكومة لا تملك في نظري مصداقية منحها.

أدْعوكم إلى العِـصْيان

المستشار : طارق البشري

شخصنة الدولة والتحرك المعارض :

مـن الملاحظ أنه كلما ضاقت دائرة الأفراد الممسكين بزمام الدولـة زاد التضـييق علـى خصـومهم السياسيين، وزاد ميلهم لاسـتخدام العـنف مـع الخصوم. وأن شخصنة الدولة هى آخر درجـات ضيق نطاق المسيطرين على الدولة، ذلك أن الشخصنة تكـون القيادة فيها قد آلت إلى أفراد معدودين، لم يعد الأمر فى يد شـريحة طبقـية أو طائفية أو قبلية أو غير ذلك، إنما صارت إلى أفـراد، وهـنا تضـيق المصلحة المحمية من الدولة لأنها تكون اقتصرت على مصالح أفراد كما يضيق التأييد الاجتماعى المستمد مـن الجماعـات، سواء خارج الدولة أو من بين العاملين بالدولة ومـن داخلهـا، كمـا تضيق الحجج والمحاذير التى تساق لتبرير السياسات والأوضاع، فيزيد عدم الاحتمال ويزيد الميل إلى اسباغ نـوع من القداسة على الفرد الذى يعتبر رأس الدولة المشخصنة، ويـزيد احتمال استخدام آلة الدولة الأمنية لقمع أى حركة مخالفة فـى مهدهـا. واسـتخدام عنف الدولة هنا هو الحل الجاهز دائما والسريع لمواجهة أى تحرك أو أى تجمع ولو فى مهده، لإجهاض ما يتكون ولردع ما هو فى طريق التكوين.

وهـــذا ما يواجه به أى فعل حركى فورا، وهو ما ينتظره أى فعل حركى، وهو ما يتعين أن يكون فى الحساب دائما، أقول ذلك لأنـــه يتعين أن يكون فى الحساب أيضا لا توقع عنف الدولة فقط، ولكـــن الإعـــداد للقدرة على مواجهة هذا العنف بعدم العنف، أى بالـــتلقى والتقـــبل لعنف الدولة دون أى رد عنيف، ذلك أن العنف الـــذى يمـــارس هـــنا إنما تمارسه الدولة وأجهزتها قياما بواجبها ووظيفـــتها الأساســـية وهى حفظ الأمن ومنع الاضطرابات، وهى أجهزة ليست سياسية ولا تصدر عن تقويم سياسى تقوم به أو يقوم بـــه قادتهـــا، وإنما تصدر عن إرادة سياسية وقرار سياسى تملكه أجهزة التقرير فى قمة الدولة المشخصنة، وليس ثمة خصومة تقوم مـــع أجهـــزة الدولـــة ولا مـــع العاملين فيها، والأمر يقتضى من أصـــحاب الحـــركة الشـــعبية قـــدرا كبيرا من ضبط النفس ومن الاحـــتمال ومن الاستعداد لتقبل العنف دون رد عليه إلا بالتصميم على الحركة وعلى استبقائها مستمرة وعلى استبقائها غير عنيفة، وأن يكـــون تحمـــل عنف الدولة دون رد عليه مع الاستمرار فى الحركة السلمية غير العنيفة، أن يكون ذلك هو التكلفة والنفقة التى تـــؤدى لله وللوطـــن من أجل الخروج من الطريق المسدود الذى يظهر أنه لا خروج منه إلا بالحركة.

لغاندى تعبير دقيق وجميل يصف به هذا الأمر، فهو يقول إن الحـــاكم عـــندما يواجه الحركة الشعبية السلمية بالعنف يكون كمن يضرب الماء بسيفه ليقطعه، فالعنف لا يهزم الحركة السلمية مهما آذى رجالها.

لابــد للحـــاكم مـــن الشرعية ، مهما كان ذا سلطات مطلقة، والشـــرعية بالمعنى المقصود منها هنا هى التقبل العام الذى يمكن لـــه مـــن أن يطاع وأن تنفذ أوامره، ونواهيه بين الناس فيصالح غالبيـــتهم إليها، وأن تنفذ هذه الأوامر والنواهى بين عمال الدولة وأجهـــزتها فيـــتحركون لإفضائها بين الناس. ويستحيل للحاكم أن يحكـــم شعبا إلا بتوافر درجة معتبرة من التقبل والانصياع له بين الـــناس، ويســـتحيل عليه أن تمضى قراراته بين عمال دولته إلا بدرجـــة أقوى من التقبل تدفع عماله إلى الحركة لإمضاء قراراته بغـــير تراخ ولا تسويف ولا اهمال إن من أولى مشاكل أى رئيس فى أى موقع من مواقع العمل والإدارة، هى كيف يدفع مرءوسيه إلـــى مده بالمعلومات والخبرات الخاصة بالعمل بكفاءة وصدقية، وكيف يدفعهم لأن ينفذوا قراراته بالضبط اللازم لإنتاج أثرها، ولو فـــرض إن كـــان المرءوس شخصا وحدا وهذا طبعا لا يحدث قط لكـــان الرئـــيس أحوج إلى مرؤوسيه الوحيد من احتياج المرؤوس إلـــى رئيسه.. يبدو ذلك جليا إذا لو لاحظت علاقة أى رئيس جديد بمرءوســـيه يكاد فى الأيام الأولى له معهم علاقة يستجدى تقبلهم لـــه، إن لم يكن ذا علاقة سابقة بهم. هذا من حيث علاقة الرئيس بمن دونه.

ويلحظ أن علاقة الحاكم بمحكومه أشد احتياجا، لأنه لن يكون حاكما بغير طاعة المحكوم، وإذا أردنا أن نوضح مدى احتياج كل مـــن الجانبين للآخر، فيمكن القول بأنه لا أمن ولا انتظام للمحكوم بغـــير الحـــاكم، ولكن فى المقابل فإنه لا وجود أصلا للحاكم بغير المحكوم. ولا أقصد بذلك الوجود المادى ولكن أقصد وجود الحاكم

بوصــفه طــرفا فى علاقة لا تقوم ولا تنشأ إلا بمحكوم لديه الحد الأدنى للتقبل والانصياع، بحيث إنه إذا أزاح التقبل والانصياع، أو خفضــهما إلـــى ما دون الحد الأدنى، فلا يبقى حاكم على كرسيه، والمســألة هـــنا ليست مسألة إزاحة مادية، إنما هى إزاحة للتقبل وهى ليست إطاحة مادية ولكنها إطاحة للانصياع وللخضوع.

نحن نعرف من تجربة الهند أن الانجليز ما كانوا يستطيعون أن يحكموهـــا بغـــير تعـــاون الهنود وخضوعهم، وهذا ما أدركه غاندى وعمل على إنهاء هذا التعاون فما لبث الحكم الإنجليزى أن انـــتهى، رغم أنه كان يعتمد على جيوش واساطيل انجليزية وكان جهاز الدولة الهندى يتشكل فى قياداته من الإنجليز. أقصد أن أقول إن هـــذا الاســـلوب كان ناجحا ضد حكام أجانب وضد آلة حرب أجنبية وضد جهاز دولة يشكله ويشرف عليه ويشترك فى أنشطته الوسطى أجانب، فما بالك بأثره الكبير إذا لم يوجد أجنبى فى حكم أو فـــى آلة حرب أو فى أجهزة دولة. ولغاندى كلمة ذكية فى هذا الشـــأن، فهـــو يقـــول سوف نتوقف عن لعب دور المحكوم، وأن الإنجلـــيز مهمـــا اعملوا العنف فنحن نعرف أنكم لن تستطيعوا أن تـــتحركوا خطوة واحدة للأمام وإذا كان هذا ما قاله غاندى بوصفه محكومـــا، فهـــو عينه تقريبا ما قاله هتلر بوصفه حاكما وطاغية، فهو يقول فى كتاب كفاحى إنه لا يمكن الاحتفاظ بأجهزة الحكومة عن طريق القوة وحدها. وميكيافيللى يؤكد الظاهرة ذاتها فى كتابه الأمير على اعتبار أن القسوة كلما زادت ازداد نظام الحكم ضعفا وأنـــه إذا لم يكن من سبيل أمام الحاكم لانتزاع الطاعة إلا بالعنف فـــإن النظام يكون آخذا فى الزوال، وعلينا أن نعى جيدا درسا فى

السياســة يتفق على إدراك ظواهره وعلى استخلاص عبرته، يتفق علــى ذلــك غاندى فى أقصى الحركة الشعبية السلمية الأخلاقية وهــتلر فــى قمــة سلطة العدوان المسلح العنيف غير الأخلاقى وميكيافيللى فى قلب العمل السياسى الذى لا يعرف من المبادئ إلا مصلحة الحاكم والدولة.

ونحن نذكر مثلا، فى ثورة ١٩١٩ فى مصر أن كان طابعها العصيان وعدم التعاون، وكانا بما هو جدير بها أن يكونا فاعلين، مــن حيــث السعة الشعبية والشمول، وهذا ما جعل اللورد اللنبى المــندوب الســامى البريطانى فى مصر يصف لحكومته الوضع قــائلا: لقد صارت الحكومة مستحيلة فى مصر فى ربيع ١٩١٩، وهــذا بــالذات وضــع استحالة الحكومة هو ما اضطر الحكومة البريطانية الاستعمارية إلى تقديم التنازلات للمصريين بالاعتراف باســتقلال مصــر وســقوط الحماية البريطانية عنها، والبدء فى الــتعامل مــع قوى الثورة المصرية، وتعرف فى السودان حركة ١٩٦٤ الــتى خــرج فيها شعب السودان إلى الشوارع فى حركة احتجاج شعبى منظم ومصمم حتى انتهى سلميا نظام إبراهيم عبود الــذى كــان بدأ فى ١٩٥٨ واستمر حتى ١٩٦٤، وتعرف أيضا بدايــات الثورة الإيرانية، تحرك الناس بجمعهم كلهم حركة سلمية احتجاجــية تعــبر عن الرفض الشامل لحكم الشاه، وبقى تحركهم شــاملا وسلميا رغم ما لاقوه من عنف الدولة وأجهزة القمع فيها، ولكــن الإصرار على الفعل الاجتماعى السلمى المثابر فى شمول ما لبث مع مضى الوقت أن نصل بين قيادة الدولة صاحبة القرار وبيــن أجهــزة التنفــيذ والضغط فانحل وثاق الدولة وكان امتناع

أجهزة القمع عن إطاعة الأوامر بالضرب هو فى ذاته إنهاء لـ السياسى. كما كان إضراب المواطنين فى مصر فى ١٩١٩ إيذان بانـــتهاء نظـــام للحكم استمر سبعا وثلاثين سنة سابقة منذ ١٨٨٢ وإيذانا ببداية نظام جديد استمر ثلاثا وثلاثين سنة حتى ١٩٥٢.

إن الفعـــل الســـلمى المنـــتج يستوجب حركة جامعة وشاملة كأوسع ما تكون، أو بعبارة أدق فإنه بقدر سعتها وشمولها بقدر ما تكـــون منـــتجة، وبقدر ما تكون أسرع فى الإنتاج وبقدر ما تكون أعمق فى أثرها الطيب المرجو.

كمـــا أن هـــذا الفعل المنتج يستوجب صبرا على الشدائد التى ســـيواجه بهـــا حتما، لأن الحكم المشخصن لابد أن يستخدم العنف فى البداية، وهو لا يوجه أزماته إلا بالمزيد من التسلط وقلة الحيلة والقمـــع كما أن هذا الفعل المنتج يقتضى طول النفس، وأن الصبر وطول النفس واستبقاء السلمية فى التعبير رغم تحمل الصعاب أن ذلك يزيد من فاعلية ومن اتساع جامعته ونمو شموله.

وأصـــعب ما فى هذه المستوجبات هو أولها، لأن نظام الدولة القابضة الذى انبنى فى بلادنا، وما اتصفت به وظائفها من شمولية وتســـلط، ومـــا خضعت له من مركزية شديدة، وما عانت منه فى العقود الأخيرة من فردية وتشخصن، كل ذلك أدى إلى انفراط فى التجمعات الشعبية انفراط لا يظهر لى أنه بلغ هذا المدى البعيد فى أى مـــرحلة مـــن مـــراحل تاريخنا الحديث المرئى، إن تجمعات الماضى كالمذاهب والطرق الصوفية ونقابات الحرفيين وتجمعات الطوائف والملل والقبائل، قد انتهت أو أن ما بقى منها صار شكلا بغير محتوى قادر على فعل التجميع المنتج.

وأن تجمعـــات الحاضر ذات التشكيلات الحديثة، مثل نقابات العمـــال والـــنقابات المهنية واتحادات الطلبة وغير ذلك، كلها آلت إلـــى أن تكـــون تكويـــنات شبه مفرغة من القدرة على التحريك الشـــعبى، بعضها تحت الهيمنة الرسمية للحكومة، مثل الجمعيات والجمعـــيات التعاونية التى تخضع للإشراف وللوصاية من جانب الحكومـــة على أعمالها، ومثل النقابات العمالية التى صارت تحت الهيمـــنة الفعلـــية لأجهـــزة الدولـــة العمالية والأمنية، ومن خلال وزارات العمل ووزارات الداخلية، ومثل اتحادات الطلبة التى آلت إلـــى هـــذه الســـيطرة ويبقى النقابات المهنية والأحزاب والنقابات المهنـــية أحاطـــت بهـــا الحكومة وإن لم تستطع أن تخضعها بعد لســـيطرتها الكاملـــة، ولكـــنها أمكنها الإحاطة بإرادتها الانتخابية وبحركيـــتها بين جماهيرها، وكذلك الأحزاب ولا أريد أن استطرد فى تفاصيل هذا الأمر حتى لا أقطع سياق الحديث المقصود.

والمهم أن المواطنين صاروا مبعثرين أفرادا لا يجتمع الغالب مـــنهم فـــى تجمعـــات منتظمة ولا يحيون معا بين ذويهم من أهل المهـــن أو الحـــرف أو الأقالـــيم أو المذاهب أو الملل أو العشائر، وأقصـــد بالـــتجمع المنتظم والحياة هذا التواجد الإنسانى الجماعى الذى يقوم به الشعور بالتجمع والاتصال بجماعة ما.

وأشـــير إلـــى أن الدولـــة المركزية فى بلادنا بما ضربت به الـــتجمعات الأهلـــية والجماعات الفرعية إنما قصدت إلى أمرين أولهمـــا القضـــاء علـــى الشـــعور بالجماعية أيا كانت سياسية أو اجتماعـــية أو مذهبـــية أو اقليمية أو مهنية، وثانيهما القضاء على التعبـــير السياســـى أو الاجتماعى خارج الغرف المغلقة، بالحركة

الشـعبية السلمية فى أماكن العمل وفى الشوارع والميادين وغير ذلك،

وأن الفعـل الحـركى السـلمى المطلوب لابد أن يتجاوز ما تحـرص الدولة المركزية على منعه فى هذين الأمرين، وما اعتاد الـناس عليه بموجب منع الدولة أزمانا طويلة. وذلك بإحياء عوائد العـيش فـى ظـل الانـتماءات الجماعية وبإحياء عوائد التعبير الجماعى السلمى عن الموقف وسائل التعبير الجهير خارج الغرف والقاعات المغلقة.

المواطـنون فـى شـتات داخل أوطانهم وفى عقر بلادهم، ولابـد من الخروج من هذا الشتات، ولا مخرج من حالة الشتات إلا بتجاوز أوامر قيادة الدولة المشخصنة، دولة الفرد الواحد. وهذا الـتجاوز لا يتأتى بالمطالبات وبالتوجه لهذه القيادة المشخصنة بما يطالـب بـه الناس من تجمع، إنما يرد بالممارسة، وفى مثل هذا الأمر على الجماعات الوطنية أن تدرك أن الشرعية فى التصرف والفعـل الحـركى لا ترد من قيادة فردية ولا من قراراتها، وإنما تـرد مـن نظم المجتمع وما يكفله الدستور من رخص وحريات وتحـرى ممارسـة الأفعـال وحقـوق الإنسان بموجب الإقرار الجمـاعى بقيام هذه الرخص وإتاحة هذه الحريات، وتجرى النظر إلـى سياسـات القيادات الفردية وقراراتها التى تمنع هذه الأمور، يجـرى النظر إليها بحسبانها من العقبات المادية الواجب تفاديها، والمهم فى ذلك هو الممارسة والنظر إلى العقبات بروح التذليل لما يقـبل التذليل والتفادى لما لا يجدى معه إلا التفادى وكل ذلك فى إطـار صـارم من السلمية فى النشاط والعمل. ومع تحمل نتائج

العقبات المادية والصبر على نتائجها. ويحدث ذلك بالقليل المتتابع الذى يصير كثيرا مستمرا بإذن الله تعالى.

إن المشكلة أن الإنسان وهو فرد يستصحبه الشعور بالضعف وعدم الأهمية ويستبعد أن يكون رأيه أو فعله ذا أثر فى غيره. ويكون متمثلا قول الشاعر صلاح عبدالصبور أريد.. أريد.. ولكننى.. أخاف الطريق لأنى وحيد وأنا اشتغلت طول عمرى فى القضاء الإدارى، فى هذا الجانب من المشاكل القانونية التى تثور بين الأفراد وبين الدولة، وأدرك يقينا حال الفرد الأعزل الوحيد وهو يواجه سلطة مؤسسة تتكون من جماعة منظمة ذات تشكيل هرمى يخضع لإمرة رجل واحد.. وأعرف هذا الفرد الوحيد فى يتمه وقهره. والقانون ذاته يحاول أن يقف بجانبه فى استيفاء الأوراق وعرض المسائل، لأنه فى صدد تحقيق العدالة لا يمكن التغافل عن عدم التوازن المطلق فى موازين القوى بين ضعف هذا الفرد وبين قوة هذه السلطة، وأحسب أنه يمكن القول بأنه مع انحياز القانون لصف هذا الطرف الضعيف يندر أن تتحقق درجة التوازن المطلوب دائما.

لذلك لابد من الخروج من هذه الحال. ولابد من التجمع، لن يشعر الفرد بقوته وبأثره إلا وهو فى جماعة فاعلة. وأن قوة الجماعة هى أضعاف أضعاف مجموع أفرادها فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين صدق الله العظيم الأنفال٦٦.

إن الطغيان لا يبقى قويا مدعوما إلا بقدر ما يكون الناس متفرقين وهو يعرف جيدا من أول درس استوعبه فى علم الطغيان

أن مَصْـدرا مهمـا لقوته عليهم هو الشتات الذى يحيون فيه لذلك لابد من تجاوز الشتات، شتات المواطنين فى وطنهم، ولا يبدأ هذا الـتجاوز إلا بالممارسـة الفعلـية فهى ما عليه المعول، ولا يظن صـاحب عقـل رشـيد أن الحاكم سيعطى المواطن ما يقوى به المواطن على الحاكم.

إن القمـع الـذى يواجـه به فعل التجمع الشعبى فى مجالاته المـتعددة والمتـنوعة، ومـادام بقى الفعل الشعبى ممارسا بتتابع واسـتمرار، ومع تحمل التكاليف المترتبة على ذلك، ومع التصميم على الالتزام بالممارسات السلمية الخالصة، فإن القمع هنا ما يلبث أن يـؤدى إلى عكس النتائج المتوقعة منه، لأنه خليق به أن يعزل عامـة الشعب عن أفعال القمع، وأن يفكك من تماسك أجهزة القمع ذاتهـا فـيزداد التماسك الشعبى والتجمع الشعبى من جهة، ويزداد الـتفكك ويضعف الترابط بين إرادة الحكم وبين أجهزة التنفيذ، وبه يـزيد المعارضة ويزداد عدم التعاون فى العلاقة بين الحكم وبين الآخرين.

وأنـا اتصور طبعا، أن الحال الحاضر ليس مرضيا عنه ولا مقـبولا مـن كثيريـن داخل أجهزة الدولة، لأن الحال وصل إلى حـدود لا يقـبلها ذوو النظر السليم للأمور من وطنيين ومهنيين وأصحاب فكر جاد وخلق مستقيم، من هؤلاء الآلاف الذين تضمهم أجهـزة دولـة واسـعة الانتشار واسعة العمل ذات تاريخ وذات خـبرات مـتراكمة فى أمور الإنتاج والخدمات والأمن وحكومة الناس.

والحال غير المرضى عنه هنا فيما احسب، يتوزع على مجالات عديدة، وأولها طبعا وأهمها موضوع الأمن القومى، وضعف مصر المتتابع الحلقات خلال العقدين أو العقود الثلاثة الأخيرة، ضعفها إزاء القوة المتنامية لإسرائيل عند حدودها الشمالية الشرقية وامتلاكها السلاح النووى وضربها المتتابع لرفح فى حدود مصر فضلا عما يبيت للسودان الذى يجيء مصر منه مصدرها المائى الوحيد الذى تقوم عليه حياة المصريين كلها. فضلا عن ضعف متتابع الحلقات لمكانة مصر العربية والدولية، حتى صارت تنزل منزلة دول الخليج فى الأهمية الإقليمية. والأحوال التالية لذلك تتعلق بما هو معروف ومشتهر من تدهور فى الطاقة الإنتاجية الصناعية لمصر حتى فى صناعاتها التقليدية التى اشتهرت بها من قديم مثل الغزل والنسيج، وكذلك زيادة اعتماد مصر الزراعية على الخارج فى استيراد أغذيتها الضرورية وأهمها القمح. وكذلك ما نعرفه من بقاء حالة الطوارئ ثلاثا وعشرين سنة مع قيام المعتقلات على النحو الحادث، ثم السلطة الفردية الشخصية وما يثور الآن من إمكان توريث منصب رئيس الجمهورية بالإعداد السريع لهذا الأمر.

وأظن أن موضوع التوريث لا يمكن أن يكون محل رضاء الجادين فى دولة كالدولة المصرية، إلا أن يكون سكوتهم ناتجا عن عدم الاستطاعة، ومن الواضح أن عدم الاستطاعة يعكس تقديرا ما لموازين القوى فى قمة دولة حكمت بطريق شخصى فردى متتابع العقود، وأن قمة أجهزة الحكم فى تركيباتها المتوازنة بما يلائم فردية السلطة القابضة على رأس الدولة، تفضى إلى نوع

مــن التوازن السلبى الذى ينتج الوهن وعدم القدرة على الحركة، وقــد ينتج أيضا عدم القدرة على التوقع والحساب وكل ذلك يشل الفاعلية.

ولا يــرد مــا يحرك هذا الجمود وهذا الماء الآسن، إلا بفعل شعبى يرد من خارج الإطار الرسمى المرسوم من غير توقع ولا حســاب، فــيرجح كفــة على كفة أو يمسك هو بزمام الأمر حتى يقضــى الله ســبحانه أمــرا كــان مفعــولا. ورحم الله من قال: إن وقــت البذر غير وقت النبات يبذر البذر ويبقى النبات موقوفا علــى مجــيء ســحابة ماطرة فتخرج الأرض ما كان فيها كامنا وكذلــك تــبقى الودائع مطوية فى صدور العباد حتى يحين أوانها ثم قال رحمه الله: لا حجاب إلا الوقت والحمد لله.

العربي

١٠-١٠-٢٠٠٤

الفراعنة تحت الإنتظار(١):

الإبن والشيخ والجنرال

(ماري آن ويفر)

مـــن الجوانـــب المُذهلـــة فى حكم (مبارك) المُستمر منذ ٢٢ عامـــاً، وان كان قليلاً ما يُناقش خارج الشرق الاوسط، هو أنه لم يُعين نائباً للرئيس أو وريثاً، وهو شيء لم يجرؤ عليه لا السادات ولا عـــبد الناصر. كانت مشكلته دائما هي ما اذا كان يتعين عليه أن يُعين مدنياً أم عسكريا. وأخيراً يبدو أنه يُعد الآن وريثاً فى كل معســـكر، جنرالاً.. ورجل أعمال، الأول أوثق مساعديه.. والثاني إبنه.

حـــتى فـــترة ليست بالبعيدة، كان عدد لا يُذكر من المصريين يعـــرف مـــن هو (اللواء عمر سليمان) مدير المخابرات المصرية القـــوي. فقد بقي سليمان البالغ من العمر ٦٧ عاماً لسنوات هادئاً في الظل. بعد ذلك وبشكل غريب بدأ الجنرال يظهر للعيان.

ظهوره كأن أشد غرابة لأنه تزامن مع ظهور (جمال) الإبن الأصـــغر للرئيس. (سليمان) عضو فى أقوى المؤسسات الحاكمة فـــي مصـــر، المؤسســـة العسكرية التى تعتبر أن من حقها تولي الحكـــم، تـــربى في ميادين القتال ضد إسرائيل. وهو يمثل القانون والنظام والإستقرار.

أما (جمال) الذى كان طفلاً عام ١٩٦٧، حين وقعت أشد تلك الحروب ضراوة، فقد تربى في قصور أبيه وفي أفضل الجامعات والنوادى الخاصة. وهو يمثل الإصلاحات الاقتصادية وإصلاحات الحزب الواحد السياسية.

ويـــرى كثـــيرون أن (ســـليمان) كبير جداً في السن.. بينما (جمـــال) صغير جداً، وأن لا هذا ولا ذاك يُثير الحماس من جانب المثقفيـــن والمهنيين المصريين الذين سيحكمهم أى منهم. لكن إسم كـــل مـــنهما لمـــع بشـــكل كبير العامين ونصف العام الماضيين، والطبقات الثرثارة ما تزال تتسائل.. هل ينبغى أن يروج (مبارك) وجـــنرالاته لعسكري اخر من داخل النظام؟. أم ينبغى أن ينضموا الـــى غيرهم من زعماء العالم العربى الإستبدادي بتأسيس المفهوم المتـــناقض لعائلـــة حاكمـــة جمهورية؟.. هل سيقاوم الجيش هذا الامـــر؟. أم أن الوقـــت قـــد حـــان للسماح باجراء انتخابات حرة ونـــزيهة، مع احتمال أن يفوز شخص من الخارج؟.. وسيكون من شـــبه المؤكد فوز الإخوان المسلمين. هل ينبغى أن يعين (مبارك) نائباً له.. إبناً أم رجلاً عسكرياً أم شيخاً؟.

الإجابـــة على هذه الاسئلة حاسمة الأهمية، لا لمصر فحسب بـــل للولايـــات المتحدة أيضاً، ولباقي العالم العربي الذي تتأثر فيه الأوضاع، تلقائياً، بما يحدث فى القاهرة.. العاصمة الجيوبولوتيكية والثقافية والفكرية للمنطقة.

بقامـــته الطويلة وجسمه المُتناسق وملامحه الصبيانية وشعره القصير وإبتسامته الجذابة، يبدو (جمال مبارك) أقرب شبهاً لأمه،

التـــي تخـــتلط أصولها المصرية بأصول من ويلز البريطانية، منه للرئيس الضخم الجثة، المُحايد الملامح.

لــــ(جمال) أنف معقوف وشعر داكن وعينان سوداوان، وهو يتحرك بخطوات واسعة تشى بقوة العزيمة. يحب إرتداء الملابس الــتى تتفق مع أحدث الموضات، ويُفضل بشكل خاص البدل التى تفصـــل يدويـــاً من أفضل الأقمشة الانجليزية، والأحذية الإيطالية اللينة الجلد.. أيضاً المصنوعة يدويا. من الناحية المهنية، (جمال) أو (جيمـــي) كمـــا يدعـــوه أصـــدقاؤه، "مصرفي" ومستشار مالي ومُؤسس أورئيس لعدد كبير من المؤسسات ومجالس الإدارات.

تخـــرج فـــي الجامعـــة الامريكية بالقاهرة حيث حصل على درجتـــي البكالوريوس والماجستير في الادارة. وبإعتباره أعزب، يُقـــال أنه يتمتع بصحبة الجميلات ولديه ولع بالسيارات الرياضية الغالية.

بخـــلاف الأبـــناء الذيـــن ينـــتظرون وراثة السلطة في العالم العـــربى، لـــم يُبد (جمال) خلال معظم حياته أنه يسير على طريق خلافـــة أبـــيه. لكن بُعيد هجمات ١١ سبتمبر بدأ أبوه يعده لذلك. وبالـــنظر الى الوراء الآن يمكن رسم خطين متوازيين بدقة غريبة بيـــن تـــراجع العلاقـــة المصرية الامريكية الذى صاحبته ضغوط متنامية من أجل تطبيق اصلاحات سياسية وبين صعود نجم الابن.

فـــي منتصـــف التسعينات عاد (جمال) الى بلده بعد أن قضى ســـت ســـنوات فـــي لندن، حيث كان يعمل فى مصرف أمريكي وســـرعان مـــا حصـــل علـــى مركـــز بارز في الحزب الوطني الديمقراطـــي. وفي سبتمبر من العام الماضي، عندما أبدت ادارة

(بــوش الأول) تأيــيدها العلنـــي لتغيير النظام في العراق، ترقى (جمال) في الحزب إلى منصب جديد، هو أمين السياسات المُكلف بالإصـــلاح. وبـــدأ مـــرافقة والـــده فى زياراته الرسمية للخارج وحضـــور إجـتماعات مجلس الوزراء، مما أثار غضب أعضاء الحكومة الذين تجاوز معظمهم السبعين عاماً.

كما أسس (جمعية جيل المستقبل) تحت شعار مساعدة الشباب المصـــريين علـــى العـــثور على مكان فى الشركات وفى الحياة العامـــة، وأســـس شـــركة خاصة تسمى/ ميدانفست / تصل قيمة أصولها الآن الى ١٠٠ مليون دولار.

لكـــن أولويـــته الرئيســـية، فيما يبدو، هي كسب تأييد مجتمع الاعمـــال، الفـــائق الثراء، وهو العنصر الوحيد الجديد في الساحة السياســـة المـــتحجرة في مصر. ومعظم أعضاء هذا المجتمع من الشـــباب، ويمثلون الدائرة الانتخابية الطبيعية لـــ(جمال)، كما أنهم يعلمـــون جـــيداً مـــثله أن الاصـــلاح الاقتصادى قد تأخر كثيرا. ويـــتحرك (جمـــال) بســـهولة فـــي عالم الفيلات الخاصة بهم فى الصحراء والمنتجعات المُقامة لقضاء عطلات نهاية الإسبوع على شـــاطئ البحر، ومن المؤكد أنه يشعر فيها براحة أكبر من مرافقة العسكريين المحيطين بأبيه، أو مُسؤولي الحزب الوطنى القدامى.. حملة الألوية بحزب يتفشي فيه الفساد والمحسوبية.

ويشـــعر المـــرء أن (حسني مبارك) لم يكن واثقاً مطلقاً من الطـــريقة الـــتى ينبغي أن يُظهر إبنه نفسه عليها. هل المُدافع عن الإصلاحات الإقتصادية في نظام السوق الحرة؟. أم الراعي لقطاع التليفون المحمول المُزدهر فى مصر؟. أم المصرفي الذى أشرف

علـــى تعويـــم الجنيه في يناير؟. وهو أحد الاصلاحات الاقتصادية الـــتى كانـــت واشـــنطن تطالب بها منذ سنوات، أم هل ينبغي أن يوصف بأنه تلميذ (بيتر ماندلسون)(٢)؟. عضو البرلمان البريطاني الـــذى أعـــاد تشكيل حزب العمال.. و(توني بلير)، ويحاول الآن إعادة تشكيل (جمال). أم.. ببساطة "إبن والده"؟ .

لـــم يعـــد أمـــام (حســـني مبارك) وقت يُذكر ليقرر ما هى الشخصية التى تلائم (جمال)، فقد بدأ لتوه عملية دقيقة لوضعه في إطـــار قانونـــي، عـــندما بدأت الحرب الامريكية في أفغانستان ثم أعقبتها الحرب في العراق.

فـــي نفـــس السياق هناك إتهامات مثيرة، بشكل خاص، كانت موجهـــة لـــ"عصابة الأبناء"، الإسم الذي يُطلق على أبناء عدد من مســـؤولي (مـــبارك)، يشاركون في معاملات تجارية وكان أكثر الاســـماء تـــردداً، (علاء) الشقيق الأكبر لـــ(جمال)، والذى نتيجة لذلك، كما قال دبلوماسي غربي، لم يعد الوريث المحتمل لوالده.

أثرت مسألة الخلافة مع لواء متقاعد، قال وهو يبتسم: إننا لا زلـــنا مـــثل أبو الهول. مع ذلك فعندما تذهبين الى أي ناد للضباط ستسمعين المناقشات تدور هناك، ان مصر ليست بلداً تتوارث فيه الحكم عائلة واحدة، هذا الامر لم يحدث هنا من قبل. وتقاليدنا هى أن البلد يجب أن يحكمه رجل عسكري. كان لـــ(عبد الناصر) إبن وكـــان لـــ(السادات) إبن، ولم يُهيأ أى من الابنين فى الحالتين، لم يفكر أحد فى المسالة أساساً.

وســـألت (على الدين هلال الدسوقي) وزير الشباب، الراعي السياســـي الأساسي لـــ(جمال)، عما يعتقده بشأن إنتقادات اللواء.

فقــال دون أن يجيب على السؤال: من أهم أوجه القوة فى (جمال) إدراكه لضرورة الاصلاح. أُنظري الى تركيبتنا السكانية، ان ثلثي السـكان تحـت سن الخامسة والثلاثين. ويدخل ٨٠٠ الف خريج سـوق العمـل كل عام، يشكلون نحو ٩٠ % من البطالة عندنا. ويفهـم (جمال) أيضاً مشكلتنا الثانية، وهى نتيجة للأولى، إنتشار الـتطرف الديني خاصة بين الشباب. لقد ظل لبعض الوقت الدين هـو حديثـنا الوحيد الفعال، أصبحت كل مسألة يتم تلبيسها عباءة الديـن. هل يُقر الفائدة فى البنوك؟.. هل يُقر الدين السياحة؟.. ما هـو نمط الحياة الاسلامية الملائم؟.. أصبح الدين يتخلل كل شى. يعلم (جمال) هذا.

سـمعت تقييماً مختلفاً عن (جمال) من (هشام قاسم)(٣) ناشر مجلـة (كايـرو تايمز) الإسبوعية التى تصدر بالانجليزية ورئيس المـنظمة المصـرية لحقوق الإنسان. قال: تابعت خطب (جمال)، ومثل أي رئيس تحرير جاهدت لأجد شيئاً جديداً.. لا شيء هناك، (جمـال) شخص عادي ولا شيء أكثر من ذلك. كان تلميذاً عادياً ومصرفياً عادياً .

وردد مسـؤول أمريكى قابل (جمال) مرات نفس الرأى، قال لـي: انه يترك إنطباعات جيدة للغاية. واثق من نفسه للغاية ويفهم أكثر من والده من أين أتى الامريكيون. هذا هو الموضوع.. لكن ماذا يوجد فى الداخل ؟.

يعـتقد (هشام قاسم) أنه لا يوجد شيئا أكثر من ذلك. قال: لا أعـتقد أن (جمال) منافس جدي على الرئاسة. يجب أن يفهم أبوه خطـر أن يرث شخص غر مثل (جمال) المنصب، انه ببساطة لن

يستمر فيه، ربما ثلاثة أشهر.. ربما أقل، ثم يقع إنقلاب مضاد أو يُوضـــع (جمـــال) تحت الإقامة الجبرية. من الأمور الأكثر إثارة للدهشـــة بشـــأن (مـــبارك الأب).. أنه واصل إعداد (جمال) رغم إستياء جنرالاته.

خـــلال الفـــترة الـــتى قضيتها فى القاهرة، كان (جمال) يقوم بجولـــة فـــى الولايـــات المـــتحدة على رأس أول وفد رسمي الى واشـــنطن. وهـــناك أجرت صحيفة (واشنطن بوست) مقابلة معه، وهو ما لم ترض عنه ادارة بوش. وعندما سُئل عن تقارير عديدة، بيـــنها تقرير للخارجية الامريكية، عن الإنتقادات لـــ"لاديمقراطية" مـــبارك.. و أن إحـــتمال ظهور أسرته كحاكمة هو أسهل الطرق لإســـتفزاز المعارضين؟. رد: هذا سخيف. وأضاف بحماس: فيما يتعلق بالإنتخابات.. فيما يتعلق بالمعارضة.. فيما يتعلق بالإصلاح والسماح بالرأي المضاد.. قطعنا شوطاً طويلاً.

وافـــق (مبارك) على مظاهرتين ضخمتين معاديتين للولايات المـــتحدة، فى محاولة لتحويل اتجاه الغضب الشعبى بشأن العراق. نظمـــت المعارضة ومعظمها من الاخوان المسلمين الأولى.. أما الثانـــية فنظمها الحزب الوطني، وشارك (جمال) في إستضافتها. وأشـــرف على الترتيبات الأمنية في كلا المظاهرتين (اللواء عمر سليمان).

(قـــنا) مديـــنة بصـــعيد مصر فى وسط الصحراء، تدعو الى التأمل والحزن، أهلها مثل باقى سكان الصعيد، أكثر أفراد الشعب المصـــري تعرضـــا للتجاهل، وأكثرهم فقرا وأقلهم تعليماً وأقلهم خضـــوعاً للســـيطرة. تشـــتهر المدينة بأنها منطقة عشائر يحكمها

قـانون الشـرف الـذى يستلزم الثأر من أى عمل خاطئ. مدينة صغيرة غير مزدحمة وتضم ثلاث أو أربع حدائق صغيرة مهملة. زُرت المدينة كثيراً كصحفية خلال التسعينات، لانها كانت فى قلب حملة العنف الاسلامى ضد حكم (مبارك). فيها وُلد (عمر سليمان) عام ١٩٣٥.

يُذكـرنى (اللـواء سليمان) بعض الشيء بـ(أنور السادات). فهـو طويـل ونحـيف له ملامـح أهل الصعيد والنوبة كما كان (السـادات)، بشرته شديدة السمار وقسمات وجهه لا توحي بالهم كما هو حال معظم المصريين. شعره داكن، لكنه شبه أصلع الآن، ويعوض الصُلع شارب رمادي داكن.

تـرك (سـليمان) قنا عام ١٩٥٤ متوجهاً الى القاهرة وعمره ١٩ عامـا ليلـتحق بالكلية الحربية الذائعة الصيت. كان الطريق الـذى سـافر عليه هو نفسه الذى قطعه عدد من أعضاء الاخوان المسـلمين البارزين، الطريق التقليدى للسفر الى الشمال من أماكن مثل قنا، كي يصبح المرء أما عسكرياً أو شيخاً.

بعـد تخـرجه فى الكلية الحربية أُرسل (سليمان) بقرار من (عبد الناصر) الى الاتحاد السوفيتي، أكبر مورد سلاح الى مصر حينئذ، للحصول على تدريب مُتقدم فى أكاديمية (فرونز) العسكرية فى موسكو. قال لى لواء متقاعد ، تلقى تدريبه أيضا فى (فرونز)، بعـد تخرجنا إستدعانا (عبد الناصر) وقال لنا أنه يطلب منا شيئاً واحـداً، يُـريد أن نعود الى بلدنا مُعادين للشيوعية. وهذا ما فعله (عمـر سـليمان). ووقعت حربان بين العرب والاسرائيليين بعد عودته الاولى ١٩٦٧ والثانية ١٩٧٣.

فـــي منتصـــف الثمانيـــنات، حيث كان قد أثبت تفوقه كخبير استـــراتيجى عســـكرى وحصـــل علـــى درجـــتى البكالوريوس والماجستير فى العلوم السياسية من جامعتي عين شمس والقاهرة، إنـــتقل (ســـليمان) الى المخابرات الحربية حيث بدأ ما تحول الى علاقـــة طويلة مع واشنطن. وتعززت هذه العلاقة خلال الحربين اللتين خاضتهما ادارتا بوش ضد العراق.

ففـــي عـــام ١٩٩١ كان (سليمان) مدير المخابرات الحربية. عـــندما أثـــرت احـــتمال أن يخلف (مبارك) فى الرئاسة، قال لي مســـؤول أمريكـــي عمل مع (سليمان) لسنوات، كان مديراً سباقاً بالمـــبادرة وكان يسبقنا أحياناً. انه رجل معتدل ومهذب للغاية وله خـــبرة طويلة هناك. مقبول من مجتمع رجال الأعمال. لكن عددا قلـــيلا للغايـــة يعـــرف اراءه السياسية. بعد كل ما قيل أعتقد أننا سنشعر بالراحة فى التعامل معه على المدى البعيد.

فـــى عام ١٩٩٣ عُين (سليمان) مديرا للمخابرات العامة على رأس أهـــم مـــنظمة عربية لجمع المعلومات، ليُصبح فعلياً رئيس وكالة المخابرات المركزية المصرية.

لـــم تتطور العلاقة بين (اللواء سليمان) وبين (مبارك) إلى ما هـــي عليه الآن حتى صيف ١٩٩٥. كان (مبارك) يعتزم حضور مؤتمر قمة منظمة الوحدة الأفريقية في أديس أبابا. وخلال إجتماع لمجلـــس الـــوزراء قبل يوم من مغادرته أصر (سليمان) على أن يـــأخذ (مـــبارك) معه سيارته المرسيدس المصفحة الى العاصمة الأثيوبـــية. أعـــرب مستشـــارو (مـــبارك) للسياسة الخارجية عن

دهشتهم، قائلين ان ذلك سيكون إهانة غير عادية للاثيوبيين. لكن (سليمان) تشبث برأيه.

في الساعة الثامنة و١٥ دقيقة صباح ٢٦ يونيو، غادر موكب (مبارك) المؤلف من ثلاث سيارات مطار أديس أبابا. كان (سليمان) يجلس مع (مبارك) في المقعد الخلفى من سيارة الرئيس عندما بدأ إطلاق الرصاص من مدافع رشاشة. أطلق ثلاثة مسلحين الرصاص من مسافة قصيرة وأصابوا السيارة مرات. وانهمر الرصاص أيضا من أسطح مبان مجاورة. ما كان لسيارة عادية أن تتحمل هذا الوابل من الطلقات. أنقذ (اللواء سليمان) حياة (مبارك).[٤]

كان المهاجمون الأحد عشرة أعضاء فى الجماعة الإسلامية المتشددة وكانوا جميعا من صعيد مصر وبعضهم من قنا. ومن المفارقات أن لواءً ناجحاً من قنا أنقذ (مبارك) فى ذلك اليوم، من ناجحين اخرين منحدرين من نفس المكان المنعزل فى الصعيد.

الفارق الوحيد أن المهاجمين، وجميعهم طلبة ناجحون فى الجامعات أو تخرجوا من الجامعة، لم يُسمح لهم بمكان فى الساحة السياسية. فالحياة فى "مصر مبارك" مُقيدة بشدة، الى درجة أنه لم يعد أمام الأحزاب السياسية مجال يُذكر للتفاعل مع الاتجاهات السياسية فى البلاد. ونتيجة لذلك أصبحت القوتان اللتان لهما نفوذ كبير هما المؤسسة العسكرية والإسلاميون.

عاد (مبارك) الى القاهرة وهو يكاد ينفجر من الغضب، وهو نفس شعور (عمر سليمان). لكن (اللواء سليمان) بدأ أيضا يشعر أن حكومته تسير على طريق خطر مُحتمل. فقد باءت بالفشل

جهودها لتحطيم الحركة الاسلامية أو القضاء على ما تتمتع به من جاذبية، سواء بالقمع الوحشي، أو بحملة مُنسقة بدقة، بحيث تبدو الحكومة كما لو كانت أكثر إسلامية من الإسلاميين.

لم يتعرف المصريون على (سليمان) إلا في يونيو عام ٢٠٠٠، بعد خمس سنوات من محاولة الاغتيال في أديس أبابا. فحتى ذلك الوقت، نادراً ما كانت الصحف المصرية تشير إليه بالإسم. في أول ظهور علني له، سار (اللواء سليمان) بوقار الى جانب (مبارك)، وغيره من زعماء العالم العربى المُسنين، في جنازة الرئيس السوري (حافظ الاسد) الذى خلفه إبنه (بشار). ولم تفت عن المصريين المصادفة الغريبة، كانت أول مهمة علنية لـ(سليمان) هى حضور جنازة في بداية عملية لوراثة الحكم.

وفي سبتمبر من ذات العام، عندما إندلعت الانتفاضة الفلسطينية الحالية، وتوقفت فجأة عملية السلام بين الفلسطينيين والاسرائيليين تولى (سليمان) الملف الفلسطيني بالكامل. وبدأ يتنقل دون توقف بين اسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة، وشرع في مفاوضات سرية مع الموساد وحكومة (أرييل شارون). وكان أحد محاوريه (أومرى شارون) ابن رئيس الوزراء الإسرائيلى. وقضى ساعات طويلة مع (عرفات) ومع زعماء حماس فى محاولة للتوصل الى وقف اطلاق النار، وهو ما نجح فى تحقيقه فى يونيو الماضى. وساهم في إقناع (عرفات)، تحت إصرار من الولايات المتحدة، بأن يعين (محمود عباس) رئيساً للوزراء.

بدأ (مبارك) يقضي وقتاً أطول مع مدير مخابراته. قال لي أحد الضباط المتقاعدين: انه يُخبر (مبارك) بكل شيء يحدث. فبعد

٢٢ عاماً في الحكم، لم تعد القيادات المُسنة المحيطة بالرئيس تقول له الا ما تعتقد أنه يريد أن يسمع. لكن (سليمان) يقول لـــ(مبارك) ما حدث بالضبط.

ســـألت ســـفيراً مصـــرياً عـــن وضع (سليمان) في الساحة الدبلوماســـية. فقـــال يحظـــى بإحـــترام شـــديد من الاسرائيليين والفلســـطينيين. والأمريكيون يثقون فيه أكثر من أي شخص آخر. وتزداد زيارات (سليمان) لواشنطن، حتى أصبح بالفعل خلال عقد[٥] رئيسي لـــ(مبارك) ومحاوراً مع الولايات المتحدة. لكنه لم يكن مرتاحاً تماماً في البداية مع دوره الجديد.

قـــال الضابط المُتقاعد، وهو أحد أصدقاء (سليمان)[٦]، كرجل مخابرات.. كان معتاداً على العمل في الظل' من الصعب عليه أن يقـــف على مسرح غير عسكري ويلقي خطاباً، فليس لديه الجاذبية التى يتمتع بها رجل السياسة' لكنه مع ذلك مُحنكاً ومرناً. تعاملت معـــه لسنوات وسمعته يقول للقيادات العليا هذا خطأ وهذا صواب حـــتى عندما كانت آراؤه لا تلقى شعبية. وهو ليس على اتفاق مع (الفـــريق محمد طنطاوى) وزير الدفاع الذى كان من الطبيعى أى يخلـــف (مبارك) لكن حالته الصحية سيئة وهو مقارب لـــ(مبارك) فـــى العمر. وأضاف الضابط لكن هذا ليس غير عادي هنا. فمن المفـــترض فـــي مصـــر ألا يُحبٍ مدير المخابرات ووزير الدفاع ووزيـــر الداخلـــية بعضهم بعضاً. هذه هي احدى وسائل (مبارك) للبقاء على رأسهم.

مـــن أجـــل معرفة المزيد عن صورة (عمر سليمان) العامة الجديدة سألت (هشام قاسم) عنها، فأشار الى صورتين تم تكبيرهما

لـــ(سليمان) مُعلقتين على الحائط وراءه. نشرت الأولى في (كايرو تايمـــز) قبل أشهر والثانية فى الصحف الحكومية بعد فترة قصيرة مـــن الأولى. تظهر على (سليمان) ملامح الصرامة والصلابة فى صـــورة (كايـــرو تايمز)، يبدو منزعجاً من تطفل عدسة المصور وهـــو الـــى جـــوار (ياسر عرفات)، الذى حاول (اللواء سليمان) الـــتفاوض معـــه علـــى وقف اطلاق النار في الضفة وغزة. وفي الصـــورة الثانـــية الرســـمية الـــتى التقطت في الوقت نفسه يبدو (ســـليمان) ودوداً بدرجـــة أكـــبر، تلمـــع عيناه وعلى وجهه شبه ابتســـامة، كان أكثر استرخاء ويبدو (عرفات) متضائلا في وجود اللواء القوي.

لا تســـير اللعبة السياسية في دماء (عمر سليمان). ومع ذلك يبدو أنه مثلما هو الحال مع (جمال مبارك) يجري إعداده من قبل المؤسسة التى ينتمى اليها كل منهما.

ومـــن أكثر الاسئلة إثارة للفضول بشأن ظهورهما كمرشحين محتملين لوراثة الرئاسة، هو ما اذا كان يجرى إعدادهما معاً؟. أم أنهما يمثلان صراع قوى بين الإصلاحيين والمتشددين فى النظام. قـــد يفســـر هـــذا الإحتمال الخط المتعرج الذى تسير فيه سياسات الحكومـــة. فعـــندما نُســـب لـــ(جمال) فضل إنشاء مجلس لحقوق الإنســـان، أُلقيـــت على (سليمان) مسؤولية قانون جديد مقيد لنشاط المـــنظمات غـــير الحكومية. وعندما أيد (جمال) إلغاء محاكم أمن الدولة، قيل أن (سليمان) كان وراء تجديد قانون الطوارئ.

المحامـــي الإســـلامي (منتصر الزيات) أعرفه منذ سنوات. دافع، وهو رجل مرح له لحية سوداء طويلة، عن المئات.. إن لم

يكــن الألاف من أعضاء (الجماعة والجهاد). سألته عن رأيه فى قوة الإسلاميين داخل الجيش. قال: ما بين ١٠ و١٥ في المائة من المتهمين في محاكمات الاسلاميين إما يخدمون في القوات المسلحة أو أفراد سابقون.

وهــى نسبة مرتفعة بشكل مدهش، نظراً لما قام به (مبارك) مــن تطهــير المؤسسة العسكرية منهم على مدى سنوات حكمه. فــرغم عمليات التطهير التى قام بها، فأن عسكريين تورطوا في كــل المحــاولات المعــروفة لإغتياله. والجيل الجديد من ضباط الجيش، لا يختلفون عن (العدل)[٧] الذى إنضم للجيش بعد الهزيمة المُهيــنة فى حرب الأيام الستة.. إسلاميون بدرجة أكبر من الجيل الســابق الذى كان يؤمن بالقومية، جيل (عمر سليمان) الذى نضج بعد فترة قصيرة من ثورة (عبد الناصر). أما الجيل الجديد فقد بلغ النضج بعد أن تبين فشل الثورة.

فــي الإشــهر الإولى من عام ١٩٩٧ كان (الزيات) عنصراً مهماً في التفاوض على إعلان وقف اطلاق نار أصدرته، في وقت لاحــق، قــيادات الجماعــة والجهاد من داخل سجونهم. ولم يكن مســتعداً لأن يبوح لى بأسماء شركائه في المفاوضات من جانب الحكومــة. لكن خلال زيارة أخيرة قال لي أحد مساعدي (مبارك) أن الشخصــية الرئيسية وراء الكواليس كانت (عمر سليمان)، هو الذي أنهى الحرب بين الإسلاميين والدولة.

تحولــت الحرب الى صراع سياسي بين حكومة مبارك وبين الإخــوان المســلمين، وهــى منظمة كان يتم التهاون معها أحياناً وتــتعرض للقمــع أحياناً، وتدخل فى تحالفات مع أنظمة مصرية

مختلفة فى أحيان أخرى، لكنها محظورة رسمياً على الدوام طوال خمسة عقود رغم نبذها العنف في التسعينات.

إستطاعت جماعة الإخوان المسلمين، أكثر أصوات الحركة الاسلامية اعتدالاً، أن تتخذ خطوات كبيرة نحو تحقيق هدفها الرئيسى وهو اغتصاب السلطة خلسة، فقد أقامت هياكل اجتماعية ممتازة، بما فى ذلك مستشفيات ومدارس تتفوق كثيراً على المرافق السيئة التى تديرها الحكومة. كما انها تكتسح إنتخابات أهم النقابات العمالية[٨] والمهنية والإتحادات الطلابية. لكن خلال التسعينات وفي أوج التمرد الإسلامى تعرضت لإنشقاق بعض أعضائها الشباب، الذين شعروا بإحباط متزايد بسبب فشل الجماعة في إلغاء الأمر العسكري المحظورة بموجبه. ونتيجة للإنشقاق إنضم الى العمل الإسلامي السري المتشدد شبان وشابات من الجيل الذى يحاول (جمال مبارك) التودد إليه [٩] .

ولإن كل من تحدثت معه وافق على أن الإسلاميين سيفوزون بالتأكيد إذا جرت إنتخابات حرة ونزيهة فى مصر الاشهر أو السنة المقبلة، سألت (منتصر الزيات) عن موقف (عمر سليمان) من الإسلاميين. لم يعطنى جواباً على الفور، ثم قال بعد ذلك: أحياناً يقف مع المتشددين، وفي مجالات أخرى يكون معتدلاً. قال: كان يعترض دائما على التعذيب الذى يتعرض له الإسلاميون، لانه أدرك أن التعذيب مفهوم يهزم نفسه في النهاية. إنه يريد إحتواء الإسلاميين دون منحهم مكاسب كبيرة. يريد أن يكونوا حاضرين وأن تكون لهم مساحة سياسية. بعبارة أخرى، هو يرى

الســماح لعــدد محدود بحوض الإنتخابات، وأن يكونوا جزءا من العملية ما داموا ملتزمين بقواعد اللعبة ومُطيعين.

كنــت أعلــم أن حوارا هادئا لا يزال يدور بشكل غير منتظم بيــن الإسلاميين والنظام، لذلك سألت (الزيات) عن تطوره الآن؟. فابتسم قائلاً: لا سلم .. لا حرب. وسألته هل يؤيد (اللواء سليمان) الإعــتراف بــالإخوان المسلمين؟. رجع (الزيات) بمقعده للخلف وعبث بلحيته، ثم قال: ما كان الأمريكان ليقبلوا ذلك.

هوامش

(١) نُشر بمجلة (اتلانتك مونتلي) أكتوبر ٢٠٠٣. (ماري)صحفية وباحثة أمريكية معروفة، وهي مؤلفة "صورة من مصر.. رحلة عبر عالم التشدد الاسلامي" عام١٩٩٩، و"باكستان في ظل الجهاد"، و "أفغانستان" عام ٢٠٠٢. مُهتمة بمصربشكل خاص والعالم الإسلامي عامة، ظلت تتردد على القاهرة لربع قرن تقريباً. كانت إحدى رؤوس حرب أمريكا في معركة الإفراج عن (سعدالدين إبراهيم) حتى إغلاق ملف إدانته.

(٢) راجع هوامش"دولة سوزان مبارك".

(٣) الآن هو العضو المنتدب لجريدة (المصري اليوم).

(٤) أول من نشر كواليس ما سبق رحلة اديس أبابا كان الباحث الإسرائيلى (دانيال سليمان).

(٥) "إقتبست" ماري تعبير"حلال العقد" من (النيوزويك).

(٦) لابد أن نشعر بالغيرة المهنية والوطنية، تأتي"الأمريكية" فتلتقي هذا وذاك، ونحن تُحجب عنا المعلومات، ونمنع من مجرد الحديث فيما تناقشه هي..بـ"ندية".

(٧) سيف العدل، أومحمد إبراهيم مكاوي، عقيد صاعقة سابق.الآن الرجل الثالث بالقاعدة ومسئول اللجنة الأمنية فيها، صاحب فكرة إستغلال الطائرات في هجمات "١١ سبتمبر" ودرب مُنفذيها على إستخدام المتفجرات. مُتهم بانه وراء تفجيرات شهدتها السعودية ٢٠٠٣، وتفجير السفارتين الأمريكيين في كينيا وتنزانيا عام ١٩٩٨. وبتدريب المقاتلين الصوماليين الذين قتلوا ١٨ أمريكيا في مقديشيو عام ١٩٩٣، بعد خروجه

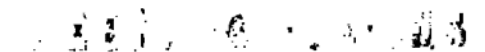
مــن المعــتقل ســافر إلــى أمريكا، فهولندا، ثم باكستان لينضم منها لــ "المجاهديــن" الأفغــان. إتهم عام ١٩٨٧ بإنشاء الجناح العسكري لجماعة الجهــاد المصرية، وبمحاولة قلب نظام الحكم. يُنسب إليه تأسيس ما عُرف إعلامياً بــ(طلائع الفتح).

(٨) نعلــم جمــيعا أن النقابات العمالية ظلت دائماً تحت سيطرة النظام ولم يسيطر عليها الإخوان.

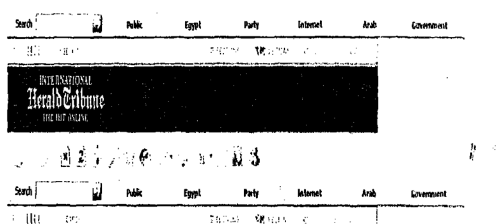
(٩) "المنشــقون" هــم مؤسســي حــزب (الوسط)، ولم ينضموا لــ"العمل الاسلامي السري المُتشدد".

ملحق صور

[illegible]



Search | Public | Egypt | Party | Internet | Arab | Government



Search | Public | Egypt | Party | Internet | Arab | Government

[illegible]

[illegible] **only**

[illegible]

[illegible] **Egyptian** [illegible]

[illegible]

The only Egyptian newspaper [illegible] **weekly left-wing** [illegible] **Egyptian** [illegible]

[illegible]

[illegible] **Egyptian** [illegible]

The Middle East Forum



The Middle East Quarterly

SPRING 2001 • VOLUME VIII: NUMBER 2

Gamal Mubarak, President of Egypt?

by Daniel Sobelman

Who will succeed Egypt's President Husni Mubarak? Under what circumstances? And what effect will the succession have on Egypt's international relations, particularly its relations with the United States?

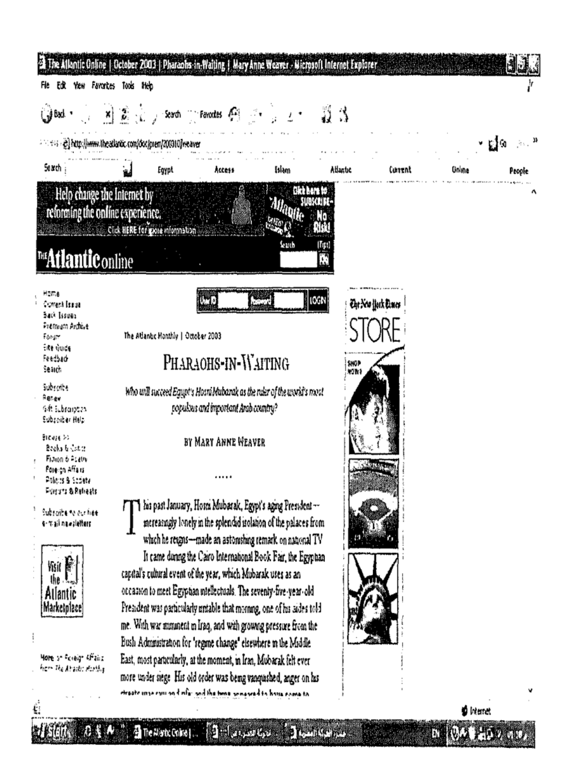
No one appears to have good answers to these questions, in large part because Mubarak has never been forthcoming about appointing a successor-designate. Although it has been widely assumed that a successor will come from within the army's ranks or certainly with its strong backing,[1] other possibilities have also been mentioned. Moreover, beyond asking who the successor might be, some Egyptians are concerned that the very future of their state could be in jeopardy following Mubarak's departure from the scene. And were Egypt to undergo large-scale change, this could have enormous consequences for the Middle East as a whole.

For many reasons, then, the succession issue in Egypt is worth a close look.

Mubarak and the Question of Succession

Born on May 4, 1928, in the village of Kafr al-Musayliha (in Minufiya province), Muhammad Husni Mubarak was appointed Air Force Academy commandant in 1969, a position he held until 1972 when he was promoted to serve as deputy minister of defense as well as air force chief. During that period, the future president took part in planning and designing the joint Egyptian-Syrian surprise offensive launched against Israel in October 1973. President Anwar as-Sadat named Mubarak as his vice president in April 1975, in which office he remained until October 6, 1981, when Sadat was assassinated by Islamist zealots. Today, at seventy-three years of age, Mubarak is the longest serving ruler in Egypt since Muhammad 'Ali in the early nineteenth century and one of the most veteran leaders in the Middle East. Following the deaths of long-serving rulers in Jordan, Morocco, and Syria, Mubarak's regional influence and international stature have been further enhanced.

[illegible]



The Atlantic Online | October 2003 | Pharaohs-in-Waiting | Mary Anne Weaver - Microsoft Internet Explorer

File Edit View Favorites Tools Help

http://www.theatlantic.com/doc/prem/200310/weaver

Search | Egypt | Access | Islam | Atlantic | Current | Online | People

Help change the Internet by reforming the online experience. Click HERE for more information

Click here to SUBSCRIBE - No Risk!

The Atlantic online

Home
Current Issue
Back Issues
Premium Archive
Forum
Site Guide
Feedback
Search

Subscribe
Renew
Gift Subscription
Subscriber Help

Browse >>
Books & Critics
Fiction & Poetry
Foreign Affairs
Politics & Society
Pursuits & Retreats

Subscribe to our free e-mail newsletters

Visit the Atlantic Marketplace

More on Foreign Affairs from The Atlantic Monthly

User ID | Password | LOGIN

The Atlantic Monthly | October 2003

PHARAOHS-IN-WAITING

Who will succeed Egypt's Hosni Mubarak as the ruler of the world's most populous and important Arab country?

BY MARY ANNE WEAVER

.....

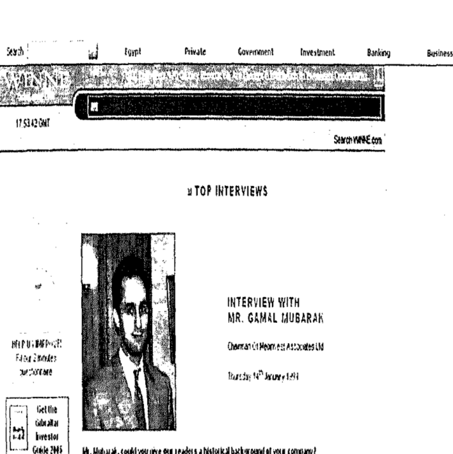
This past January, Hosni Mubarak, Egypt's aging President -- increasingly lonely in the splendid isolation of the palaces from which he reigns—made an astonishing remark on national TV

It came during the Cairo International Book Fair, the Egyptian capital's cultural event of the year, which Mubarak uses as an occasion to meet Egyptian intellectuals. The seventy-five-year-old President was particularly irritable that morning, one of his aides told me. With war imminent in Iraq, and with growing pressure from the Bush Administration for 'regime change' elsewhere in the Middle East, most particularly, at the moment, in Iran, Mubarak felt ever more under siege. His old order was being vanquished, anger on his

The New York Times STORE

SHOP NOW

Internet



Mr. Mubarak, could you give our readers a historical background of your company?

I have been working in banking since I graduated. I started with the Bank of America in Egypt. They used to have a big operation in Egypt for 5 or 6 years. I was then transferred to London, also with the Bank of America but on the investment banking side. I spent six and a half years in London. Then, I branched out with a few of my colleagues in London and we set up a small investment banking operation in London. We started out by doing corporate finance business, which is very much related to the Middle East and Africa. That was the region that we used to cover in the Bank of America. We have expanded in the past two years and we set up an office in Egypt. A year and a half ago we set up a private equity fund that is purely dedicated to Egypt, i.e. to invest in an Egypt in private equity. This has been our main activity in Egypt in the past year and a half. The fund had an investing base from Egypt and the Gulf area. It is very much modeled on the US private equity fund system. We have partners with us in the management fund EFG private equity. We have a U.S. private equity management firm in the U.S., which is only specialized in the United States but we got them because of their technical expertise. So, between the private equity and between some corporate finance [illegible] for private sector companies that are now going global or overseas and trying to raise funding and [illegible] from international markets in particular. These are the two main areas of focus that we have.

Our operations are mainly based in London. We have a small head office in Cairo but we also have a full time office assisting us in the private equity. So, I have been mainly in the financial world since I graduated. I went through different places from commercial banking in Egypt to investment banking in London.

[illegible]

في استفتاء فريد على أربعة مواقع

معركة توريث الرئاسة على شبكة الإنترنت

فضيحة: إلغاء مؤتمر دولي بالقاهرة لنصرة الشعب العراقي

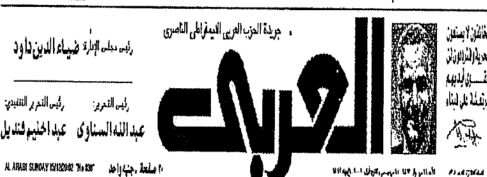
أسرار خطة باول لتهذيب وإصلاح الحكام العرب

في تطور مثير: إسقاط عضوية جمال حشمت زعيم الأخوان في مجلس الشعب



الشيخ الشعراوي: صدقت الأمة حين قالت: «كلنا جمال عبد الناصر»

مفاجآة سامي شرف: شيوخ الأزهر شلتوت ومأمون وعبد الحليم محمود في حزب عبد الناصر الطليعي



العربي

جريدة الحزب العربي الديمقراطي الناصري

رئيس مجلس الإدارة: ضياء الدين داود

رئيس التحرير: عبد الله السناوي

رئيس التحرير التنفيذي: عبد الحليم قنديل

٢٠ صفحة - جنيه واحد

AL ARABI SUNDAY 15/12/2002 "No 838"

«الخائفون لا يصنعون الحرية والمترددون لن تقوى أيديهم المرتعشة على البناء»

تظاهرتان مؤيدة ومعارضة للاستفتاء

أمام مبنى نقابة الصحفيين وضريح سعد زغلول

في الوقت الذي كانت فيه جموع المصريين قد خرجت لتقول كلمتها وتعبر عن رأيها داخل صناديق الاستفتاء لتعديل المادة ٧٦ من الدستور لفتح صفحة جديدة من الممارسة الديمقراطية كانت هناك مجموعات أخرى من مؤيدين ومعارضين يعلنون عن رأيهم بصراحة وبالتحديد بوسط المدينة فاختاروا من أمام مبنى نقابة الصحفيين وضريح سعد زغلول مقرا لهذا التعبير فقد تجمع نحو ١٠٠ شخص من أعضاء الحزب الوطني ورددوا الهتافات المؤيدة للاستفتاء، وتجمع نحو ٨٠ شخصا من أعضاء حركة كفاية وراحوا يرددون هتافاتهم المنتقدة لرفض الاستفتاء، وتبادل الفريقان بتبادل العبارات ووصل إلى التشابك بالأيدي مما دفع إحدى المتظاهرات بتمزيق ملابسها وادعت أن أحد المشاركين من جانب المتظاهرين من الهتافات من الحزب الوطني قام بتمزيقها ثم بكت أمام رجال الشرطة إلا وأن اصطحبوها إلى قسم شرطة قصر النيل لتحرير محضر بذلك ودخل المتجمعون من أعضاء الحركة إلى نقابة المحامين وقاموا بقذف الموجودين بالطوب والحجارة مما دفع أجهزة الأمن إلى إغلاق شارع عبدالخالق ثروت خشية على المارة وأصحاب السيارات التي تسير في الشارع، ورد مؤيدي الحزب الوطني على إلقاء الطوب بتمزيق اللافتات الخاصة بالمعارضين وبعد استمرار دام لأكثر من ساعتين انصرف الطرفان.

في الوقت نفسه تظاهر ظهر أمس نحو ٥٠٠ شخص من أعضاء الحزب الوطني بمنطقة ضريح سعد في مسيرة سلمية لتأييد المشاركة في الاستفتاء على تعديل المادة ٧٦ من الدستور بشأن انتخاب رئيس الجمهورية والذي تم إجراؤه يوم أمس. كما ردد المتظاهرون في أثناء المسيرة الهتافات المؤيدة للرئيس حسني مبارك وترشيحه لفترة رئاسية جديدة وكان من بين الهتافات «عاشت مصر.. وعاش مبارك» و«الحزب الوطني قال لنا حسني مبارك في دمنا» كما رفع أعضاء الحزب الوطني العديد من اللافتات التي تحمل صورة الرئيس مبارك ودعم لمبارك.



أدعوكم للعصيان

*لا مخرج من حالة الشتات إلا بتجاوز أوامر قيادة الدولة المشخصنة، دولة الفرد الواحد. وهذا التجاوز لا يتأتى بالمطالبات وبالتوجه لهذه القيادة المشخصنة بما يطالب به الناس من تجمع، إنما يرد بالممارسة، وعلى الجماعات الوطنية أن تدرك أن الشرعية فى التصرف والفعل الحركى إنما ترد من نظم المجتمع وما يكفله الدستور من رخص وحريات، وتجرى ممارسة الأفعال وحقوق الإنسان بموجب الإقرار الجماعى بقيام هذه الرخص وإتاحة هذه الحريات.

*إن القمع الذى يواجه به فعل التجمع الشعبى فى مجالاته المتعددة والمتنوعة، ومادام بقى الفعل الشعبى ممارساً بتتابع واستمرار، ومع تحمل التكاليف المترتبة على ذلك، ومع التصميم على الالتزام بالممارسات السلمية الخالصة، فإن القمع هنا ما يلبث أن يؤدى إلى عكس النتائج المتوقعة منه، لأنه خليق به أن يعزل عامة الشعب عن أفعال القمع، وأن يفكك من تماسك أجهزة القمع ذاتها فيزداد التماسك الشعبى والتجمع الشعبى من جهة، ويزداد التفكك ويضعف الترابط بين إرادة الحكم وبين أجهزة التنفيذ، وبه يزيد المعارضة ويزداد عدم التعاون فى العلاقة بين الحكم وبين الآخرين.

المستشار طارق البشري

محمد طعيمة

جمهوركية ال